الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République algérienne démocratique et populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف - ميلة

معهد الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

المرجع: .....

إشكالية الهوية في رواية " أعشاب القلب ليست سوداء" لنعيمة معمري

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص أدب جــزائري

من إعداد الطالبتين:

- ***بوميسة بسمة***
- ***بوحلاسة نـدى***

إشراف الدكتور: حمزة بوزيدي

السنة الجامعية: 2022- 2023

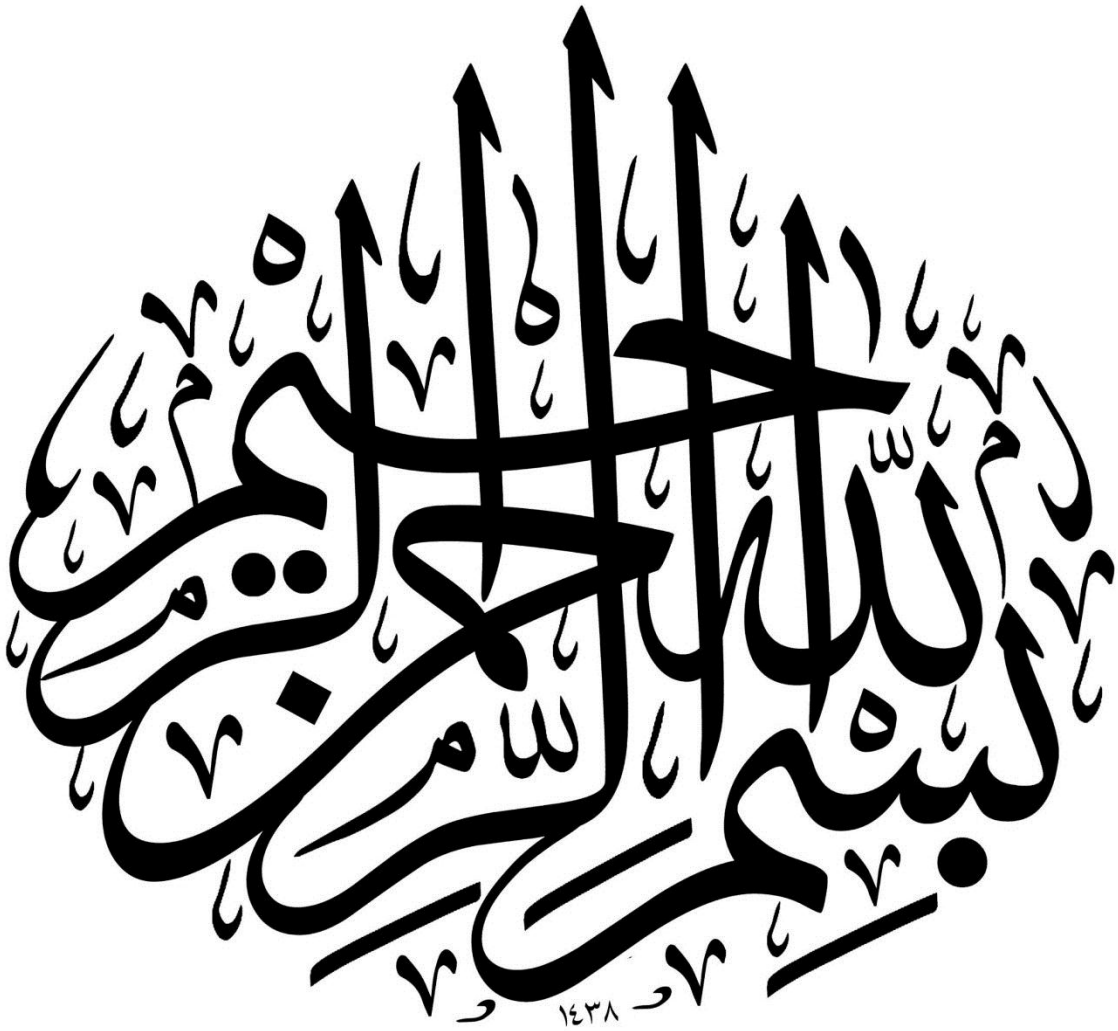
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله حمد الشّاكرين على جزيل فضله وعظيم نعمته، و يسّر لنا من الوقت والجهد والصحة والعزيمة لإتمام هذه الدراسة إنه على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بعد أن وفّقنا الله لإكمال هذه المذكرة، نتقدم بجزيل الشكر إلى أصحاب البصمات الواضحة على هذا الجهد العلمي المتواضع.

ونبدأ بمشرفنا الدكتور المحترم "بوزيدي حمزة" على ملاحظاته وتوجيهاته وإرشاداته الهادفة، ولقد تمكّنا بفضل الله عز وجل وبفضل الأستاذ من إخراج هذه الدراسة إلى النور.

و كذلك كل من ساهم معنا ماديًا ومعنويًا ونعتذر لمن فاتنا ذكره ولم نتمكن في هذا المقام شكره.

ونسأل الله أن يسدد على طريق الخير خطانا إنه سميع عليم.

إهـــــداء

"وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين"

ما ضاع جهد الأمس في يوم سوى والله يجزي الحسن بالإحسان.

إلى من كانت الداعم الأول لتحقيق طموحات، إلى من كانت ملجئي ويدي اليمين في هذه المرحلة، إلى من أبصرت الطريق حياتي واعتزاز بذاتي، إلى القلب الحنون، إلى من كانت دعواتها تحيطني وتسعدني، إليك "أمي".

إلى من احتضن حلمي وروحي، إلى من جاد علي بوقته وأكرمني بفضله إقرار منّي بفضله، واعترافًا بحقه، إلى أبي الغالي "عبد الوهاب بوميسة".

إلى الأيادي الطاهرة التي أزالت من طريقي أشواك الفشل، إلى من ساندوني عند ضعفي وساقوني بالحب، إلى من رسموا لي المستقبل بخطوط الثقة والحب، أعمامي وعمّاتي وأخوالي وخالاتي، إلى كل عائلتي.

إلى رفيق دربي، إلى من أنار طريقي وكان سندي "عيسى" بكل فخر أهديهم تخرجي وحصولي على شهادة الماستر بتخصص "أدب عربي".

والحمد لله على التمام وحسن الختام

بوميسة بسمة

إهـــــداء

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
محمد صلّى الله عليه وسلّم
لا قيمة لشكر يُستَهل دون شكر الخالق سبحانه وتعالى
الذي أعانني على إنجاز هذا العمل المتواضع
إلى السند منقطع النظير إلى خير عون لي عند المحن
والدي
إلى معلمتي الأولى إلى من تمتلك جنّة تحت القدم
والدتي
إلى من علمني حرفًا أو لقّنني درسًا. إلى من مهّدوا لي الطريق
أمامي للمضي في سبيل طلبي العلم
أساتذتي
إلى اختوي وكل أفراد عائلتي إلى رفيقات الدرب
صديقاتي
إلى كل من يسكن القلب والرّوح
إلى كل الجيران القريبين مني
إلى كل من مدّلي يد العون في حياتي

بوحلاسة ندى

مقدمـــة

مقدمة:

اهتمت الرواية الجزائرية المعاصرة بمسألة الهوية، والتي تشكل خصوصياتها الأساسية لتنعكس من خلال معالجتها عن العلاقة التي تربط الفرد الجزائري بأرضه ومقوماته حيث عاش انفصالًا إجباريًا عن وطنه وذلك من خلال الأزمات السياسية والاقتصادية التي مسّت الجزائر في فترة التسعينيات، والتي جعلت من الموطن الجزائري يعيش فترة صعبة جعلته ينفر من الانخراط في المجتمع و يشعر بالاغتراب فيه ممّا أدّى إلى الهجرة إلى الدول الأوروبية للبحث عن الأمن والاستقرار.

كان موضوع الهوية ولا يزال من أهم المواضيع التي تشغل الراهن الفكري نظير تغلغلها في كافة نواحي الحياة السياسية، الثقافية، الاجتماعية، الدينية، التاريخية، كما أنها سمة ملازمة للفرد منذ ولادته إلى وفاته، وهذا ما جعل السرد يتخذ منها بؤرة إشكالية للغوص في مختلف القضايا الناتجة عنها أو المنطوية تحت لوائها. وانطلاقا من هذه الأهمية البالغة، فقد حاولنا البحث في موضوع الهوية في الرواية الجزائرية المعاصرة، وقد ضبطنا الموضوع وفق العنوان التالي: "إشكالية الهوية في رواية أعشاب القلب ليست سوداء لنعيمة معمري".

وعن هذا العنوان انبثقت الإشكالية التالية: ما هي أبرز تجليات الإشكال الهوياتي المطروحة داخل الرواية؟ وهل استطاعت الرواية الإحاطة بمختلف جوانب الهوية بين الداخل والخارج؟ وهذه الإشكالية الرئيسية تطرح بدورها مجموعة من الأسئلة الفرعية على النحو التالي: ما هو أدب الأزمة؟ وما أبرز القضايا الموجودة فيه؟ ما هي الهوية؟ ما المقصود بأدب الهجرة؟

لقد دفعنا لاختيار هذا الموضوع مجموعة من الأسباب الموضوعية، منه حسب علمنا قلة الدراسات التي تعنى بالأدب الجزائري خاصة فيما يتعلق بقضايا العنف والهجرة والإرهاب، وندرة الدراسات وفق منهج النقد الثقافي، وكذا عدم تخصيص دراسة مستقلة للمدونة قيد الدراسة. ومجموعة من الأسباب الذاتية، منها شغفنا اللامتناهي بالقضايا ذات البعد الثقافي، والرغبة في تقديم ولو الشيء القليل للبحث العلمي الأكاديمي في الجزائر.

لمقاربة هذه الرواية بطريقة منهجية اخترنا تطبيق منهج النقد الثقافي، لأنه –في اعتقادنا– الأقدر على الخوض في مثل هذه القضايا المتشعبة والشائكة، وهذا نظرا لكونه منهجا عابرا

للتخصصات وفعالية تستثمر مختلف الحقول المعرفية مثل النقد الأدبي، التاريخ، علم اجتماع، علم النفس... وموضوعنا يشغل بدوره موقعا وسطا بين كل هذه المعارف.

في سبيل هيكلة البحث اعتمدنا على خطّة تتكون من مقدمة وفصلين وخاتمة.

أمّا الفصل الأول فيندرج تحته ثلاثة مباحث، تناولنا في المبحث الأول رواية الأزمة، مفهومها اللغوي والاصطلاحي وخصائصها، أمّا المبحث الثاني فيتمثّل في أدب الهجرة والمهاجرين، مفهومه وأهم قضايا الهجرة، وختمنا هذا الفصل بمفهوم الهوية لغة واصطلاحًا وأبعادها والهوية السردية، أما الفصل الثاني فيتمثل في أربعة مباحث تتمثل في تحليل الرواية.

فالمبحث الأول يتمثل في الهوية السياسية والصراع الإيديولوجي.

أمّا المبحث الثاني فيتمثل في الاغتراب داخل المجتمع و الخروج الاضطراري و البحث عن هوية بديلة والبحث عن الذات وفقدان الذات والعثور على الذات

والمبحث الثالث فيتناول الآخر العنيف والآخر المتسامح والآخر الخارجي والآخر عنصري والآخر الجزائري والآخر الفلسطيني، وختمنا هذا الفصل بمبحث يتناول الفضاء الداخلي والفضاء الخارجي وأخيرًا الخاتمة. والتي تمثلت في أهم النتائج التي توصّلنا إليها.

إذ اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع، يتمثل المصدر في مدونة البحث وهي رواية "أعشاب القلب ليست سوداء"، إضافة إلى بعض المراجع منها:

أحمد منور: ملامح أدبية ودراسات من الرواية الجزائرية، حسن حنفي: الهوية، أليكس ميكشللي: الهوية، ترجمة علي وطفة، بنجامين سنورا: تاريخ الجزائر بعد الاستقلال، 1962/1988

أما بالنسبة للدراسات السابقة المتعلقة بموضوع البحث فإنه –في حدود علمنا–لا توجد دراسة مستقلة عنيت بهذه الرواية لا في إطار مسألة الهوية ولا في جوانب أخرى، خاصة إذا استثنينا بعض الإشارات المبثوثة هنا وهناك في بعض المواقع الإلكترونية غير المتخصصة.

ولقد واجهنا عدّة صعوبات منها ما يرتبط بقلة المراجع وسبل الوصول إليها، ومنها ما يتعلق بصعوبة تطبيق المنهج، ومنها ما يعود إلى طبيعة الموضوع في حد ذاته الذي يتميز بنوع

من الهلامية والتعقيد وعدم الثبات. بالإضافة إلى صعوبات وظروف أخرى لا يسمح مقام البحث العلمي بإحصائها.

وأخيرًا نتقدّم بالشكر والعرفان للأستاذ الفاضل "حمزة بوزيدي" الذي أشرف على هذا البحث ووجّهنا إلى الوجهة الصحيحة، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله، والشكر لمن شرّفونا بمناقشة هذا الموضوع والذي نتمنّى أن يكون عند حسن الظن ويكون فاتحة دراسات أخرى.

في نهاية هذا البحث نرجو أن نكون أحسنا في تعبيرنا وانتقائنا ألفاظنا فإن أحسنّا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا.

الفصل الأول

قـــــراءة فـــي المصطلـــح

(الأزمة -الهجرة -الهوية)

أولا: رواية الأزمة الجزائرية:

تتميز الرواية عن غيرها من الأجناس الأدبية من خلال استيعاب التغييرات الاجتماعية المتسارعة، وتشخيصها عبر نساق ومكونات شكليه ودلاليه وتعتبر رواية الازمه الرواية التي شكلت تحولا سرديًا في مراحل تطور هذا الجنس بالجزائر والتي سعت الى خلق اشكال وتمثيلات سرديه تتواءم والسياقات المفتوحة التي تقات من راهن متأزم ومأساوي بكل اشكاله بحثا عن أسائلة اكثر تجدرا وعمقا.

1- مفهوم الأزمة:

هي" خلل مفاجئ نتيجة لأوضاع غير مستقرة يترتب عليها تطورات غير متوقعه نتيجة عدم القدرة على احتوائها من قبل الاطراف المعينة وغالبا ما تكون بفعل الانسان"[1] أي ان الازمة هي حدث غير متوقع نتيجة سلوك انساني وكذلك" الازمه بمعناها العام والمجرد هي تلك النقطة الحرجة و اللحظة الحاسمة التي حدد عندها مصير تطورها إما للأفضل وأما للأسوء، الحياة أو الموت، الحرب او السلم لإيجاد حل لمشكله ما"[2]

ومن خلال التعريفات السابقة للأزمة نستنتج أنها حدث مفاجئ غير متوقع ممّا يؤدي إلى صعوبة التعامل معه.

2- مفهوم رواية الأزمة:

ارتبطت الرواية الجزائرية بالواقع، حيث صورت الاحداث التي عاشها المجتمع الجزائري خلال الاستعمار والنظام الاشتراكي والشعورية السوداء.

---

[1]- سمية عباس الربيعي، الأزمة وأنواعها وخصائصها. ص3، الموقع الإلكتروني https://uonstonririgoh.edu.iq

[2]- أحمد هادي طالب. الأسس النظرية العام لإدارة الأزمات. قسم إدارة البيئة ،كلية الإدارة والاقتصاد ،جامعة بابل2015 ص3.

الموقع الإلكتروني www.wobabulon.edu.iq

ولقد ظهرت رواية الازمة في التسعينات في العشرية السوداء والتي كانت بدورها تعبر عن معاناة الشعب الجزائري إن "رواية الأزمة كفن تعالج الظواهر السائدة في المجتمع الجزائري من عنف وارهاب بطريقة إبداعية هادفة"[1] فهي رواية تسرد وقائع المجتمع الجزائري في فتره معينه بأسلوب ابداعي.

كانت رواية الازمة رواية جيليه وظريفة لها خصوصيه معينه" ... فرواية الازمة تمتلك خصوصية اصطلاحية، متأتية من خصوصية الحدث الذي اكسبها الفرادة الظرفية من جهة، والتميز الشكلي و التيماتيكي من جهة اخرى[2] فرواية الازمة متعلقة بالظرف الذي وقعت فيه حيث تميزت شكليا وموضوعيا.

- أدب الأزمة Littérature de la crise:

شهدت الجزائر في فترة التسعينات أحداثا عصيبة ومروعة، حيث عاش الشعب الجزائري واقعا مريرا. وخلال هذه الفترة ظهر ما يسمى بأدب الأزمة والذي قام بتصوير احداث العشرية السوداء والواقع المعاش آنذاك.

فأدب الازمه مصطلح ظهر في التسعينات في فتره ازمه دامت ما يقارب عشر سنوات والتي سميت بالعشرية السوداء. وأطلق عليه بعض التسميات الأخرى مثل أدب المحنة وأدب الاستعجال" النتاج الأدبي الذي كتب في هذه الفترة تحديدا استجابة لوضع سياسي انعكس بشكل او باخر على الواقع الاجتماعي الاقتصادي والثقافي، وهو ما تجلى ثقافيا عبر اعمال فنيه تعكس معاناة الشعب الجزائري في تلك العشريات الدموية"[3] وهو تلك الأعمال الأدبية التي كتبت في فتره العشرية السوداء

---

[1]- نمري فضيلة. طاوطاو رزيقة. جمالة العنونة في رواية الأزمة الجزائرية. جامعة أم البواقي. 2015. الموقع الإلكتروني https://hdl.handle.net

[2]- سليمة خليل. أحداث السردية في الرواية الجزائرية. نقد المرجعيات في رواية الأزمة. ر.د. جامعة محمد خيضر بسكرة. 2017/2016.ص17

[3]- ليلى بن عائشة. أدب المحنة. أدب المحنة الأدب الاستعجالي قراءة في المصطلح، ص1. الموقع الإلكتروني http://cte-univ.setif.dz

والتي صورت معك الوضع السياسي على المجتمع والاوضاع والازمات الاقتصادية." في سياق ما أنتجته العشرية الحمراء من اعمال روائية بالعربية والفرنسية بأسماء مشهوره واخرى مغمورة تراكمت مع مر الأيام لتشكل ما يمكن أن نسميهم بأدب الأزمة"[1] وتلك الأعمال الأدبية الروائية في تلك الفترة المكتوبة باللغتين العربية والفرنسية توالت وراء بعضها حتى أصبحت تسميتها بأدب الازمه.

"فأدب الأزمة يحيل إلى الظروف التي مرّت بها الجزائر في تلك السنوات التي طغى عليها الحزن والسواد وقد جاءت رواية الأزمة لمعنى الأزمة والاهتمام بواقع الجزائر المضطرب"[2]إذن فأدب الأزمة هو ذلك النتاج الأدبي الصادر في فترة الحرب الأهلية في الجزائر في التسعينات والذي صور الظروف المزرية والواقع المرير، وبيّن الحزن والسواد الذي حل بالمجتمع والوطن ككل.

- أدب المحنة Literature de supplies:

أدب المحنة هو مصطلح ظهر في التسعينات ايضا في تلك الفترة الصعبة التي مرت بها الجزائر. حيث سرد لنا الاحداث المروعة فيها.

" أدب المحنة هو واحد من خصوصيات الادب الجزائري، لأنه هو وحده الشعب الجزائري الذي هان من هذه الكارثة والتي هي الارهاب وهي ظاهره أثرت فيه من جهة اخرى"[3] هو ادب يخص الجزائر وقع في العشرية السوداء والذي صور محنه البلد في تلك الفترة.

- أدب الاستعجال Littérature de l'urgence:

وهو ادب ظهر في فتره العشرية السوداء ايضا " فالأدب الاستعجالي يصبح عارضا ادبيًا نتيجة عن عريض ضعفي سياسي وتاريخه، قريبا من الكتابة الإعلامية التسجيلية. أو الشهادة

[1]- أحمد منور، ملامح أدبية ودراسات في الرواية الجزائرية. دار الساحل. د.ط. 2008. ص161.

[2]- كريمة فطيب. أدب الأزمة في الرواية الجزائرية المعاصرة، وطن من زجاج لياسمينة صالح، مذكرة ماستر. جامعة أحمد دراية. أدرار. 2019 . 2020، ص23.

[3]- فاطمة قاسمي. أثر العشرية السوداء في الرواية الجزائرية. مخبر الدراسات الإفريقية للعلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية. م13. ع16. 31 ديسمبرة 2018 ص 177.

الصحفيةtémoignage. وهي نعوت تحمل قدحية نقدية للظاهرة"[1] وهو نتاج أدبي جاء في تلك الفترات الصعبة ويكون قريبا من المنتجات الصحفية والإعلامية.

فأدب الأزمة أو أدب الاستعجال أو أدب المحنة، ثلاثة مصطلحات تختلف في الاسم لكن لابد أنها تشير إلى نفس المعنى لأنها تشترك في بعض السمات والخصائص فكل منها جاءت خلال فترة واحدة معينة في فترة صعبة عاشتها الجزائر. فهذه المصطلحات الثلاثة تعبّر عن الأزمة التي حلّت بالجزائر في التسعينيات في العشرية السوداء. فكلّها تضمنت مواضيع متشابهة فهي سردت واقع المجتمع الجزائري في تلك الفترة مع المعاناة التي شهدها في مختلف المجالات وعلى عدة أصعدة. هذه المصطلحات جاءت وسردت تلك الأحداث المأساوية الواقعة في فترة التسعينات، ولتصف التأزم الواقع آنذاك.

- رواية التسعينات: رواية الأزمة:

في فترة التسعينات ظهرت عدّة أعما أدبية غنية عن التعريف ومن بينها الرواية والتي بدورها تحدثت بصفة دقيقة عن أحداث وأوضاع الأزمة في تلك الفترة.

"ومع حلول الثمانينات والتسعينات، بلغت الصراعات السياسية أقصاها مع ظهور قوى سياسية جديدة تدعو إلى قيام نظام سياسي جديد... وهكذا بدأت الرواية الجزائرية من جراء هذه الظروف... إذ غبّرت نصوصها وبطرق مختلفة عن هذا الوضع المتأزم الذي بلغ ذروته مع بداية التسعينات التي اتّسمت باستعمال العنف الرمزي والمادي، أي الاغتيال السياسي. الفردي والجماعي"[2]خلال فترة الثمانينات والتسعينات مع ظهور الأزمة وتفاقمها شيئًا فشيئًا ظهرت الرواية الجزائرية (رواية الأزمة) والتي كانت تتناول في مضامينها تلك الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية وما خلّفته من أثر في المجتمع الجزائري. "وتمتاز هذه الكتابات بأنها تحمل بصمات جيل من الأدباء،

[1]- سليمة خليل. الحداثة السردية في الرواية الجزائرية. نقد المرجعيات في رواية الأزمة، ر. دكتوراه جامعة بسكرة. 2017/2016- ص19.

[2]- داود محمد. الأدباء الشباب والعنف في الوقت الراهن. مركز الأبحاث الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية. ع10. جانفي. أفريل 2000. ص28.

يكتب لأول الأدب الروائي أولًا"[1]، حيث تميّز الأدباء والروائيون في تلك الفترة وتميّز أسلوبهم وتطور طريقة كتابتهم "إن نص الأزمة في تاريخ الرواية الجزائرية، شكّل مرحلة تجاوزية لمرحلة سابقة بتيماتها وجمالياتها... وهو ما يجعلنا نسلم بأن «رواية الأزمة» كانت صدى مباشرًا لمرجعية سياقية وتراكم معرفي إيديولوجي مهد له، لأن فعل التراكم هو الذي يحقق التحول ثم القطيعة "[2] وقد تميز أدب الأزمة بالإبداع، وتحول الرواية الجزائرية هذه الفترة.

ومن أبرز الروايات التي ظهرت في فترة الأزمة:

- رواية الإزلاق لحميد عبد القادر 1988.
- رواية المراسيم والجنائز لبشير مفتي 1998.
- الشمعة والدهاليز لطار وطّار 1995.
- سيد المقام لوسيني الأعرج 1995.
- رواية الورم محمد ساري.

ومما سبق نستنتج أن الإنتاج الأدبي بصفة عامة والرواية بصفة خاصة تماشى مع الواقع الجزائري في فترة الأزمة، وصوّر بصدق الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ثانيا: أدب الهجرة والمهاجرين:

لقد شكّل موضوع الهجرة نهجًا شديد الأهمية في إثارة قضاضا وتصوير أزمات ومعاناة المهاجرين للبحث عن حلول إنسانية لهم فالظروف التاريخية ساهمت في انتشار ظاهرة الهجرة والارتحالات القسرية (المنفى) فخلّفت ذوات منشطرة متصدعة تعاني الاغتراب النفسي والاجتماعي التي تأبى الاعتراف بوجودها فتتطلع إلى محاولة لملمة شتاتها والانفتاح على الآخر بحثًا عن " الفردوس المفقود".

---

[1]- المرجع نفسه ص31.

[2]- سليمة خليل، الحداثة السردية في الرواية الجزائرية. قسم الآداب و اللغة العربية نقد المرجعيات في رواية الأزمة. رسالة دكتوراه. بسكرة. 2016 .2017. ص16.

1- مفهوم الهجرة:

الهجرة هي انتقال أو تحول لفرد أو جماعة من دولة اعتادوا الإقامة فيها إلى دولة أخرى لا يحملون جنسيتها لغرض الإقامة فيها[1]وهي ترك الوطن إلى بلد غيره للإقامة فيه، أي هي الخروج من أرض إلى أرض أخرى سعيًا وراء الرزق.

2-مفهوم الاغتراب:

هو اقتلاع المرء من جذوره ومحيطه إلى بيئة أخرى بعيدة أو قريبة والاغتراب إمّا اغتراب قسريًا أو اختياريًا، بعيدًا عن مكان ولادته وملعب طفولته وذكرياته وتفاصيل حياته اليومية الجغرافية الاجتماعية والعاطفية...إلخ[2]

فالاغتراب موضوع كبير، إنه مأساة العصر وأزمة هذا الزمن الرديء وظاهرة تتسع يومًا بعد يوم.[3]

3-مفهوم المنفى:

للمنفى أسماء كثيرة ووجهان، داخلي وخارجي.

المنفى الداخلي هو غربة المرء عن مجتمعه وثقافته وتأمل عميق في الذات، بسبب اختلاف منظور الآخرين لذلك يشعر بأنه مختلف وغريب وهنا لا تكون للمنفى حدود مكانية، إنه مقيم في الذات المحرومة من حريتها الشخصية والتفكير والتعبير.

أمّا المنفى الخارجي هو انفصال المرء عن فضاء مرجعي، عن مكانه الأول وعن جغرافيته العاطفية.[4]

---

[1]- معجم المعاني الجامع- معجم عربي عربي- شبكة الانترنت: https://www.almaany.com، تاريخ الإنزال 24-04-2023.

[2]- مريم نجمة، الاغتراب عن الوطن وتأثيراته الروحية والفكرية والاجتماعية على الفرد، تاريخ النشر: 14-01-2006، شبكة الانترنت https://m-aheuar.orgتاريخ الإنزال 24 أفريل 2023.

[3]- المرجع نفسه.

[4]- عن المنفى- محمود درويش. تاريخ النشر 28 أكتوبر 2015، شبكة الانترنت https://aelinkedin.com تاريخ الإنزال 15 مارس 2023.

ومنه فالمنفى هو إبعاد شخص ما عن موطنه (مدينته أو دولته أو بلدته) ويكون عقاب بالسجن أو الإعدام ويعتبر شكل من أشكال العقاب.

4- مفهوم أدب الهجرة:

ظهر أدب الهجرة في بداية القرن العشرين بعدما احتل المستعمر بقاع كثيرة من العالم النامي حينها اضطر الأغلبية إلى اللجوء والهجرة، حيث تعرض الكثير من الجماعات العربية للتهجير القسري نتيجة للتمييز العرقي والديني، حينها هاجر الكثير من الكُتّاب العرب إلى بلاد الغرب والولايات المتحدة أو روسيا ليسجلوا تجاربهم في المنفى.[1]

أي هو أدب كتبه مجموع من الأدباء خارج أوطانهم الأصلية للتعبير عن المعاناة التي يعيشونها في البلاد الأجنبية.

5- الفرق بين أدب الهجرة والمنفي والاغتراب:

تتداخل هذه المفاهيم إلى حد ما، لأنها تهتم بالتمثيل الثقافي للأفراد والجماعات التي تنتقل عبر حدود قومية وجغرافية ونفسية محددة، إمّا طوعًا أو كرهًا أو اضطرارًا[2]فهي مصطلحات قابلة أن تحل محل بعضها البعض أو مضلة مفاهيمية تغطي الآثار المتفاوتة للغاية الناتجة عن الهجرات الكثيرة للناس. لذلك اهتم النقاد والمفكرون ما بعد الاستعمار إلى التدقيق حول معاني هذه المفاهيم.

إن مفهوم المنفى يشير إلى إبعاد شخص ما عن موطنه حيث لا يستطيع المنفي الرجوع إلى وطنه الأم حتى لو رغب في ذلك حيث يعتبر أحد أشكال العقاب، بينما الاغتراب فهو مختار حيث نشأ نتيجة رغبة المرء في مغادرة وطنه لأي سبب من الأسباب[3] ويمكن الإشارة في هذا السياق إلى

---

[1]- مجلة فكر الثقافية، أدب الهجرة والمنفى- شبكة الانترنت موقع: htt[s://www.fiktmay.com تاريخ الإنزال 15 مارس 2023.

[2]- جون ماكوليد وآخرون- نظرية ما بعد الاستعمار والرواية- ت. د. أشرف إبراهيم محمد زيدان- ط1- القاهرة- بيان الترجمة والنشر والتوزيع. 2020 ص43.

[3]- فخري صالح- معنى المنفى من منظور إدوارد سعيد- تاريخ النشر 28 سبتمبر 2021 شبكة الانترنت https://www.momunoun.com تاريخ الإنزال 19-03-2023.

التجربة الفلسطينية التي تتضمن أنواعًا عديدة من الابتعاد القسري والنفي العنيف والإبعاد وأحيانًا الاغتراب عن الوطن لأن الشروط السياسية والاجتماعية والثقافية دفعت الفلسطينيين إلى خارج الوطن الأم في ظروف شديدة التعقيد خلال رحلة الشتات الفلسطينية المستمرة أمّا الهجرة فهي الرغبة في تحسين الأوضاع المعيشية أو البحث عن الحرية أو كرهًا من أوطانها الأصلية وذلك للظروف المزرية والحروب التي عاشتها الأوطان[1] ومنه فأدب الهجرة يظم أدب المنفى والاغتراب حيث يشمل كل من الجماعات المنفية والمبعدة والمطرودة والهجرات المعاكسة بصورة فردية أو جماعية.

6- قضايا أدب الهجرة:

يعتبر موضوع ظاهرة الهجرة من أكثر المواضيع قابلية للدراسة وخاصة في الآونة الأخيرة فترة الثمانينيات وبداية التسعينيات (الأزمة الأمنية)، إن الإحصائيات الحديقة تبين أن هذه الظاهرة أصبحت تهدد الكيان السياسي والاجتماعي في المجتمع الجزائري خاصة وأنها تعصف بأهم فئة ألا وهي فئة الشباب الذي أصبح يعاني مجموعة لا متناهية من العراقيل[2] (التهميش، الاغتراب، النفي، البالة) كل هذه المفاهيم عرقلت حياة الشباب وأصبحوا يبحثون عن العيش السليم والاستقرار النفسي حيث تعتبر الأسباب الاقتصادية من أهم الأسباب التي تؤدي إلى الهجرة وذلك نتيجة التحولات التي شهدتها الجزائر جراء (الأزمة) المتعددة الجوانب ابتداء من نهاية الثمانينيات التي تركت آثار سلبية والتي نوجزها على النحو الآتي:

[1]- فخري صالح- معنى المنفى من منظور إدوارد سعيد- تاريخ النشر 28 سبتمبر 2021 شبكة الانترنت https://www.momunoun.com تاريخ الإنزال 19-03-2023.

[2]- أم الخير سحنون، الهجرة غير الشرعية لدى الشباب الجزائري الأسباب والعوامل دراسة في التنمية و المجتمع جامعة بونعامة جيلالي مج 2017 العدد 07 ص09

- انتشار البطالة بين فئات الشباب التي مست خريجي الجامعات والمعاهد، أزمة السكن الحادة وارتفاع نسبة الشباب إلى 70% من مجتمع تقل أعمارهم عن 30 سنة، تنامي الشعور بالاغتراب والانعزال عن المشاركة في الحياة الاجتماعية....[1]
- كما تعد العوامل السياسية من أبرز العوامل التي أدّت إلى الهجرة والتي تتمثل في أن ظاهرة الهجرة السكانية تأخذ مكانها لمواجهة عمليات الغزوا المسلح[2].
- وتعتبر أحداث أكتوبر 1988 أو ما يعرف بالعشرية السوداء أحد أهم العوامل التي دفعت الشباب الجزائري إلى الهجرة وذلك نتيجة الصراعات المحلية بين السلطة الإرهاب.
- كما نجد أيضًا العراق الذي يشهد هو أيضًا حروب أهلية طائفية بسبب الاحتلال الأمريكي 2003[3]، ومنه فالنزاعات المسلحة وعد الاستقرار السياسي والحكم السيء إلى جانب الفقر التهميش والكثافة السكانية والنفي والبطالة والاغتراب أصبح كل بلد إفريقي منشأ عبور أو جهة مقصودة.

ويبقى المهاجر في صراع بينه وبين المجتمع الذي يريد العيش فيه حيث يضن أن الدول الأوروبية هي التي تحقق له أحلامه البسيطة لكنهم يواجهون مشكلات أبرزها:

اللغة: إن من أبرز العوائق التي تواجه المهاجرين اليوم في الاندماج الحقيقي في المحط الاجتماعي والمهني هو مشكلة الاندماج اللغو، فكلما تمكن المهاجر من لغة البلد الذي يعيش فيه بشكل مستديم كلما زادت فرصته في الاندماج في وقت معقول، وكذلك فإن معظم المهاجرون يعانون من اكتساب اللغة تسهل عليهم عملية الاندماج بسرعة[4]، ومنه فاللغة أهم شيء يجب على المهاجر اكتسابه.

---

[1]- علي عثماني. هجير صحراوي، الهجرة غير الشرعية، المدلول الأسباب وآثارها في الجزائر مجلة الفكر القانوني والسياسي المجلد 6،العدد 01- 2022، ص563.

[2]- المرجع نفسه ص563.

[3]- المرجع نفسه ص564.

[4]- إشكالية اندماج المهاجرين، نشر بتاريخ 16 أفريل 2020، شبكة الانترنت www.bibliojuste.club.

الهوية الثقافية: يواجه المهاجرون وخصوصًا العرب تحديات عديدة هناك أهمها الاغتراب الثقافي والاجتماعي وصعوبة الاندماج بالمجتمعات الغربية نظرًا للاختلاف الكبير في الثقافة والعادات والأنظمة والقوانين... وهذه النظرة تسببت للمهاجرين وخصوصًا العرب بفشلهم في التواصل مع البلدان التي هاجروا إليها ثقافيًا مما جعلهم يعانون من مشكلة الهوية الثقافية، التي يُحضرها معه من بلاده وهوية البلد الذي يلجأ إليه، حيث يبرز هذا الوضع في تشتيت المهاجرين بعادات وسلوكيات الارتباط الثقافي بالبلد الأصل من خلال ضرورة الحفاظ على اللغة، والشعائر الدينية في سبيل المثال[1]، فالمهاجر يبقى مهمشًا حتى في البلد الذي يظن أنه النور الذي يخرجه من الظلمات التي كان يعيش فيها.

كما نجد العديد من المشكلات التي كانوا ولازالوا يعانون منها أغلب الجماعات والأفراد المهاجرة إلى الدول الأوروبية (الغربي) كالتمييز العنصري والحنين والصراع الحضاري والحوار... وغيرها، ومنه فالهجرة سلاح ذو حدين والمهاجر يبقى الضحية الأولى والأخيرة نتيجة الأزمات السياسية والاقتصادية التي تحدث في البلدان الأصلية.

[1] المرجع نفسه www.bibliojuste.club .

ثالثا: الهوية في اللغة والاصطلاح:

تعتبر الهوية من أكثر المفاهيم شيوعًا وحديثا في حياتنا خاصة الاجتماعية والثقافية، كونها من تحدد انتماء الفرد سواء كانت دينية أو قومية أو غيرها...فالهوة هي ما تميز كل فرد عن غيره أو مجتمع عن مجتمع آخر أو شعب عن باقي الشعوب.

1-الهوية:

تعددت المفاهيم اللغوية والاصطلاحية للهوية من أجل إنزاله الغموض واللُبس عنها، نقوم بتحديد مفهومها.

أ- لغـة:

يرى ابن منظور في معجمه لسان العرب: بأن لفظ الهوية من الفل الثلاثي "هَوى بالفتح، يَهَوي، هَويا، وهُوَيًا وهَوَيَانًا، الهوى: سقط من فوق إلى أسفل..."[1]

ويرى أيضًا أنّ مصطلح "هُوية: تصغير هُوَّ، وقيل: الهوية بئر بعيدة"[2]

حيث ورد أيضًا في المعجم العربي لأسماء الملابس لرجب عبد الجواد إبراهيم أن لفظ الهوية فيما بينهم يطلق على معانٍ ثلاثة الشخص والشخص نفسه والوجود الخارجي[3]، فالهوية هي ما تحدد ماهية الشخص ووجوده الخارجي.

ب- اصطلاحا:

إن مفهوم الهوية مفهوم هلامي صعب التحديد وهو كما يقول حسن حنفي: "ليست الهوية موضوعًا ثابتًا أو حقيقة واقعة بل هي إمكانية حركية تتفاعل مع الحرية"[4] أي أنّ الهوية قائمة على الحرية لأنها إحساس بالذات والذات حرة، والحرية قائمة على الهوية لأنها تعبير عنها.

---

[1]- ابن منظور. لسان العرب. مادة (هـ-و-ي) دار الصلح- بيروت لبنان- ط1 15 2006 ص161.

[2]- المرجع نفسه ص163.

[3]- رجب عبد الجواد إبراهيم المعجم العربي لأسماء الملابس كلية الآداب ،دار الآفاق العربيةجامعةحلوان.ط1،2002ص961

[4]- حسن حنفي: الهوية المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة. ط1. 2012- ص23.

كما تعرف أيضًا وهويتي هي ما يجعلني غير متماثل مع شخص آخر[1]، أي هوية الفرد هي ما تميّزه عن غيره.

والهوية في معناها العام تعني الذاتية والخصوصية وهي مجموع القيم والمُثل والمبادئ التي تشكل الأساس الراسخ للشخصية الفردية أو الجماعية من خلال الخصائص والمميزات التي نفرد بها[2] ومنه فالهوية تشمل جميع القيم والمبادئ.

أمّا من الناحية الثقافية فتفي التفرد الثقافي بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط وسلوك ومثل نظرة إلى الكون والحياة[3]فهي تتمثل في العادات والتقاليد واللغة ...إلخ.

والهوية في صورتها الاجتماعية هي الشعور بالانتماء إلى أمة ما والاندماج في تفاصيل طابعها القومي.[4]

ومنه فإن محاولة ضبط مفهوم الهوية والوقوف على حدوده المختلفة يتطلب منّا حصره في المجال الذي نريد البحث فيه.

2-أبعاد الهوية:

أ- الهوية الدينية (الإسلامية):

يعتبر ديننا الإسلام بمثابة دستور لأي مسلم، وهو منهجه الذي يسير عليه. وبالإسلام ينتظم المجتمع وتُهذَب النفس.

وفي هذا الصدد وردة مجموعة من التعاريف تضبط معنى الهوية الإسلامية.

---

[1]- أمين معلوف، الهويات القاتلة قراءات في الانتماء والعولمة، ت ر نبيل محسن- دار ورد سوريا- دمشق ط1- 1999، ص14.

[2]- صالح بلعيد: في الهوية الوطنية (د.ط) دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر 2007، ص 42.

[3]- أزمة الهوية في السياسة التعليمية الجزائرية، راسلة ماجستير، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر، 2005-2004- ص48.

[4]- رفيق بن حصير: الأمازيغية والأمن الهوياتي في شمال إفريقيا، دراسة حالة الجزائر والمغرب، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر ص 2012-2013. ص43

وجاء في تعريف الهوية الإسلامية كتاب في كتاب زمن العولة الثقافية لخليل نوري مسيهر العاني "أن الهويّة الإسلامية تعني الإيمان بعقيدة الأمة. والاعتزاز والانتماء إليها واحترام قيمتها الحضارية والثقافية... والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغة والشهادة على الناس"[1] فإن الهوية الإسلامية هي الإيمان والفخر بالانتساب للأمة الإسلامية، من خلال أداء الشعائر الإسلامية والتمسك بها.

ب- الهوية الاجتماعية Social identity:

لا يخلوا أي مجتمع من المجتمعات من هويته الاجتماعية فهي التي تميز كل مجتمع عن غيره من المجتمعات.

لقد جاء تعريف الهوية الاجتماعية عند أليكس ميكشللي: "تشير الهوية الاجتماعية إلى مجموعة المعايير التي تسمح بتعريف فرد ما أو جماعة ما على نحو اجتماعي. وهي بالتالي المعايير التي تسمح للفرد باستحواذ وضعيته الخاصة في إطار مجتمعه. وبعبارة أخرى تعني الهوية الاجتماعية السمات والخصائص التي تضفى على الفرد من قبل عدد كبير من الأفراد الآخرين والجماعات الأخرى في المجتمع"[2]، ويتبين لنا من خلال هذا أن الهوية الاجتماعية تقوم بإعطاء دور ومكان مناسب للفرد في المجتمع.

كما ورد عند دنيس كوس عن الهوية الاجتماعية في قولها: "إن هوية الفرد الاجتماعية تتميز بمجموع انتماءاته في النسق الاجتماعي: الانتماء إلى صنف جنسي وإلى صنف عمري وإلى طبقة اجتماعية وإلى أمّة".[3] أي أنّ الانتماء هو مطلب أساسي لكل فرد.

---

[1]- لخليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، ط1، العراق 2009، ص45.

[2]- أليكس ميكشللي، الهوية. ترجمة علي وطفة، دار النشر الفرنسية، 1993، ص111.

[3]- دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة د. منير السعيداني، مركز دراسات الوحدة العربية ص149.

جـ- الهوية الثقافية:

إن الهوية الثقافية هي الرمز أو القاسم المشترك أو النمط الراسخ الذي يميز فردًا أو مجموعة من الأفراد أو شعبًا من الشعوب عن غيره.

المراد بالهوية الثقافية هو "تلك المبادئ الأصلية السامية والذاتية التابعة من الأفراد أو الشعوب وتلك ركائز الإنسان التي تمثل كيانه الشخصي الروحي والمادي بتفاعل صورتي هذا الكيان...

والهوية الثقافية تمثل كل الجوانب الحياتية الاقتصادية الاجتماعية والسياسية والحضارية والمستقبلية"[1] الهوية الثقافية شاملة لركائز الإنسان.

وحسب دنيس كوش:" فإن الهوية الثقافية تحيل بالضرورة إلى مجموعة انتماء الفرد الأصلية ويكون الأصل و"الجذور" بحسب الصورة الاعتيادية أساس كل هوية ثقافية"[2]فهي تفرز الانتماء وتبين أصل الفرد والمجتمع.

وتُعرف الهوية الثقافية أيضًا بأنها:" القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعًا تتميز عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى"[3]. ومنه فهي مرتبطة بحضارات الأمم والشعوب وما يميز وطنتيها وقومتيها.

فالهوية الثقافية تشتمل خصائص عدّة متمثلة في اللغة والدين والتاريخ والتراث والعادات والتقاليد، وهذه كلها تمثل المكونات الثقافية ذات السمات العربية الاسلامية.

---

[1]- زغو محمد، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف 2010 ص94

[2]- دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، ص49.

[3]- نور الهدى عبادة. الهوية الثقافية الجزائرية والعولمة الإعلامية: المهددات وسبل الوقاية. مجلة الاتصال والصحافة، م6، العدد 4- 2019، ص36.

د- الهوية القومية:

إن الإحساس بالانتماء إلى أمّة أو مجتمع من المجتمعات والفخرية هو ما يمكن أي فرد من الأفراد من اكتساب هويته القومية.

الهوية القومية هي التي من خلالها يتمكن من معرفة نفسه وانتماءه ويعرف المجتمع الذي ينتمي إليه.[1]

وعندما نقول الهوية القومية فنذهب إلى ما يحدد قومية الفرد أو الجماعة وهي الدين واللغة والجغرافيا.

"الانتماء سمة فطرية في الإنسان، لما فيه من إحساس صادق يملأ النفس رضا والذات قناعة، والانتماء إلى جماعة معيّنة أو فكر معيّن مع مجموعة أخرى من البشر يشعر الإنسان بالأمن والطمأنينة والأمان النفسي... ويبقى أن تستمد الذات تفرّدها وتميزها التي تعشقها. ويحيا من خلالها كاسمه وسكنه وجنسه وأفكاره الأخرى"[2]. أي الفرد عندما يشعر بالانتماء إلى مجموعة ما أو أفراد ما أو مكان حيث يعيش في سلم وأمان.

ثالثا: الهوية السردية:

يقع تحول جدري في الهوية الفردية حينما تندرج في سياق السرد فتنتقل من كونها هوية ذاتية إلى هوية سردية متفاعلة مع مجموع المكونات السردية الأخرى في النصوص الأدبية، وبذلك تصبح الذات موضوعًا للسرد وبه تكتسب معناها في تيار الحياة.[3]

ومن الهوية الشخصية إلى الهوية السردية.

يعرف ريكور بين نوعين من الهوية، هوية شخصية وهوية سردية.

---

[1]- ينظر: رضا شريف. الهوية العربية الإسلامية وإشكالية العولمة عند الجابري، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، د.ط. 2011. ص14.

[2]- أحمد عفيفي، اللغة المؤسس الحقيقي لقيم الهوية والانتماء، ص5، الموقع الإلكتروني www.alarabiahconferences.org

[3]- عبد الله ابراهيم، السرد والاعتراف والهوية، ط1، 2011. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص45.

الهوية الشخصية:

إن الشخص حسب ريكور يتمتع بنظام الهوية الدينامي والذي تتميز به القصة المروية، فهوية القصة هي التي تصنع هوية الشخصية، ويتم ذلك عن طريق الديالكتيك المزدوج فهناك هوية تمثل عيّنة الطبع بمعنى الدوام في الزمان من جهة، وهناك ذاتية متأتية من استمرارية الذات الفاعلة من جهة أخرى، لذلك يميز ريكور بين نوعين من الهوية الشخصية، هوية المطابقة أو الهوية العينية وهوية ذاتية، ويرى أن أكثر المصاعب ناجمة عن الإخفاق في التمييز بين هذين النوعين، يقول بهذا الخصوص إنّ الذاتية ليست العينية كما أكدت على ذلك مرات عديدة.... والآن هذا التمييز مجهول، فإن الحلول المتعلقة بالهوية الشخصية التي تجاهلت البع السردي قد فشلت[1]، وأن هذه الصعوبة من زاوية أخرى دليل قاطع على أن هذين النوعين متداخلين.

الهوية السردية:

الهوية السردية تمارس دور الوسيط سواء بين التاريخ والخيال، أو بين قطبي الهوية الشخصية (الذاتية والعينية)، وذلك من خلال قول ريكور: طرحت بعد رحلة طويلة خلال السرد التاريخي والسرد الخيالي، السؤال عمّا إذا كانت هناك أي تجربة أساسية يمكن أن تدمج هذين النوعين... ثم توصلت إلى فرضية مؤداها أن لكون الهوية السردية سواء أكان لشخص أم لجماعة تاريخية كان الموقع المنشود لهذا الانصهار، وفي موضع آخر يقول أليس هذا الذي تدعوه بالهوية السردية سواء كانت للأفراد أم للجماعات التاريخية هو النتاج اللامستقر للتقاطع بين التاريخ والخيال[2]، أي أن دور الوسيط هذا يتمظهر بشكل جوهري في المتغيرات المتخيلة التي تتميز بها القصة وتفرضها على الهوية السردية، ويرى ريكور أن الهوية ليست شيئا ثابتًا بل هي ما يتحقق بالزمان أي هوية التي يحفظها الزمان من التغير أي كيف أضل نفسي عبر التغير، بما يعني

[1]– جنات بلخن، السرد التاريخي عند بول ريكورط1، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، 2016، ص106.

[2]– ينظر: جنّات بلخن: السرد التاريخي عند بول ريكور– مرجع سابق ص110.

أنّي أحتفظ بشيء معين من الماضي كي أستطيع البقاء ، وهنا لا يمكن فصل الماضي عن المستقبل[1].

ويقول ريكور موضحًا ذلك: لا ريب أن إشكالية الهوية التماسك والبقاء في الزمان أو بعبارة وجيزة إشكالية الهوية توجد هناك في] السرد].. إذ يؤلف السرد الخواص الدائمة لشخصية ما هي ما يمكن أن يُسمى المرء هويته السردية[2]ومنه نقول أن الهوية السردية تجمع بين ديمومة الزمن في الطبع ديمومة المحافظة على الذات.

وفي الأخير نستنتج أن الهوية السردية هي هذه النقطة التي تتقاطع فيها عدة عناصر، السرد والزمان التاريخ والخيال، هوية ذاتية وهوية مطابقة، فالهوية السردية هي كل ما يكسبه المرء عبر توسط الوظيفة السردية أي عبر انتاجه لمختلف ضروب القص، خاصة وأن كل ثقافة تكوّن ضرورة من أساليب وطرق للسرد إذ أن لكل جماعة تاريخية أحدثها المؤسسة لهويتها الجماعية[3]، أي أن الهوية السردية تقف موقفا وسطًا بين الهوية العينية والهوية الذاتية.

[1]- ينظر: جنّات بلخن: السرد التاريخي عند بول ريكور- مرجع سابق، ص111.

[2]-المرجع نفسه ص111.

[3]- المرجع نفسه ص111.

الفصل الثاني

تجليات إشكالية الهوية

داخل الرواية

الفصل الثاني:

تجليات إشكالية الهوية داخل الرواية

أولا: الهوية السياسية الجماعية

ثانيا: أزمة الهوية الفردية

ثالثا: الهوية والآخر

رابعا: هوية الفضاء

ملخص الرواية:

تعتبر رواية أعشاب القلب ليست سوداء باكورة الروائية "نعيمة معمري" والتي صدرت سنة 2012 وأواخر 2013، عن منشورات فيسيرا وتحمل هذه الرواية 222 صفحة، وتدور أحداثها حول أزمة التسعينات (العشرية السوداء)، ومن بين أهم القضايا التي تطرّقت إليها الكاتبة نجد قضية الأزمة الوطنية والإرهاب، وذلك من خلال العنف والصراع بين السلطة والشعب والإرهاب ممّا أدّى إلى الموت والحزن والأسى والاغتراب في الوطن، وهذا ما جسّده بطل الرواية "الهادي" وهو رجل أمن حيث استيقظ على إطلاق الرصاص والعنف والدماء في شوارع وطنه ممّا جعله يدخل في صراع مع العصابة الإرهابية والتي كانت مسرحًا لأبشع العمليات الإرهابية من تقتيل وذبح وتنكيل وخيرها ممّا انتهى بقتل صديقه عبد النور، والذي خلّف في نفسية الهادي الحزن والأسى والاغتراب داخل وطنه الأصلي.

كما تطرقت الروائية أيضًا إلى قضية أخرى وهي قضية الهجرة، حيث قرر الهادي مغادرة الوطن وذلك لشعوره بالاغتراب والحزن داخل وطنه فقرر المغادرة والبحث عن الفردوس المفقودة في "لندن" لكنه لم يحصل على الاستقرار في الوطن الأجنبي وذلك بسبب اختلاف الثقافة وفقدان هويته فأصبح الوطن هاجس يعيشه ولم يستع التأقلم مع الأفراد الأجانب وهذا ما حصل مع كل مهاجر هناك حيث يعيشون في صراع من أنفسهم فهم لا يستطيعون الرجوع ولا البقاء وهذا أسوء ما قد يحصل للإنسان المهاجر كـ "سي أمحند" والمهاجر الفلسطيني وغيرهم حيث فقدو هويتهم الأصلية ولم يستطيعوا الحصول على هوية بديلة تنسيهم مرارة العيش في أوطانهم الأصلية. فقرر الهادي العودة إلى وطنه الأم لأن الوطن الأصلي هو ما يجعل الفرد يفتخر وينتمي إليه ويعيش بكل كرامة.

أولا: الهوية السياسية الجماعية

1-أحداث أكتوبر 1988:

بعد الاستعمار الفرنسي جاءت فترة الاستقلال ونيل الحرية، وبدأت الأمور شيئًا فشيئًا تعود إلى طبيعتها ولكن بعد فترة من الزمن بدأت المشاكل في المجتمع الجزائري خاصًا متصف وأواخر الثمانينات بدأت بعض الاختلافات في الآراء بين السلطة والشعب. الشعب ريد شيئًا والسلطة تريد أشياء أخرى، فنتج عن هذا صراع داخل المجتمع الجزائري وظهور الإرهاب. وهذا ما زاد الوضع تأزمًا وبعد هذا ظهرت أزمات مختلفة اجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا.

"في عام 1985 انهارت أسعار البترول انهيارًا شديدًا نتيجة الصدمة البترولية المضادة وأصبحت العملات الصعبة أكثر ندرة. وتبنّت الجزائر خطّة تقشف ظالمة...، وبدأت مواد التجهيزات وضروريات الحياة تعاني من النقص وتواصلت الهجرة الريفية، وتعمقت أزمة السكن الحضري. فريسة البطالة، ومحرومين من حياة ثقافية حقيقية ومشاريع توعوية"[1].

بعد انهيار أسعار البترول دخلت الجزائر أزمة اقتصادية كبيرة وهذا أثّر بشكل كبير على المجتمع، ممّا أدّى إلى انتشار الفقر والبطالة فيه، وبروز ظاهرة الهجرة الريفية.

وفي الرابع من أكتوبر ظهرت مناوشات بأحياء عدّة من العاصمة الجزائرية لتنفجر الأحداث في الخامس من الشهر من الشهر والعام ذاته وانتشر العنف بكل أنواعه بين الشعب الجزائري والسلطة (الدولة).

[1]- بنجامين سنورا، تاريخ الجزائر بعد الاستقلال 1988/1962، ت د. صباح ممدوح، كعدان، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2012، ص111 - 112

وهذا ما جاء في لسان الهادي في رواية "أعشاب القلب ليست سوداء" في قوله: "أكتوبر من ذلك العر كان شديد القسوة"[1] حيث كان هذا الشهر شديد القسوة على الشعب الجزائري وذلك جراء أعمال عنف دموية خلّفت مئات الآلاف من القتلى والمصابين والمفقودين ودمارًا هائلا في الاقتصاد الذي تبعته الهجرة والفرق والبطالة.

وفي6 أكتوبر 1988 امتدت المظاهرات إلى كل الأحياء الشعبية وانقطعت الدراسة في المدارس والثانويات خوفًا من أن تمتد المظاهرات إلى الثانويات ويلتحقون بالحركة، وذلك أمر من وزارة التربية وهذا ما جاء في الرواية "ولأن الوضع يومها كان جد خطير، سارع التجار إلى إغلاق محلاتهم، وسارعت المؤسسات إلى تسريح عمالها وموظفيها وتلاميذها وأقفلت المدينة تمامًا، أفرغت من كل الحياة"[2]. وذلك من أجل عدم الخوض في هذه المظاهرات وارتفاع ضحايا أكثر.

وبعدها أعلن الرئيس الشادلي بن جديد حالة حصار وفرض حظر التجول ليلًا في العاصمة، وهذا ما جاء على لسان بطل الرواية: "وظلّت الشوارع يومها خالية من المارة، من الحياة، حتّى وقت متأخر من ذلك اليوم، ظلّت خالية من رائحة القنابل المسيلة للدموع"[3]، وذلك لتفادي حصيلة أكثر من الضحايا وعدم الاشتباك، إلّا أن رائحة الموت كانت تتجول في كل شوارع العاصمة والحزن والأسى، ثم ظهر الرئيس من جديد على التلفزيون ودعا المواطنين للتعقل ووعدهم بإصلاحات في جميع المجالات السياسية والاقتصادية وذلك في قول الهادي: "يومها حسم الرئيس الوضع بثرثرة رسمة على المباشر"[4]. الآن تلك الوعود كانت كاذبة وإنما من أجل تهدئة الوضع فقط، إلّا أن المواطنين لم يستجيبوا لهذه الوعود وظلُّوا يرددون بالحرية وتعدد الأحزاب وفي قوله: "مفردات ظلّت تتردد يومها في كل مكان التقطتها الحافة بجوع، وتناولتها بنهب، مفردات أسالت

---

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء، ص31.

[2]- المصدر نفسه ، ص34.

[3]- المصدر نفسه ص34.

[4]- المصدر نفسه ص38.

الكثير من الحبر، لا للحزب الواحد، لا للفكر الواحد"[1]. كان الشعب يطالب بتعدد الأحزاب حتى استجيبت مطالبهم وحصلوا على 60 حزبًا تقريبًا.

وهكذا انتهت المفاوضات لكنها خلّفت الموتى والجرحى والهجرة لدى الشباب الذي ترك في نفسيتهم الحزن والأسى والاغتراب وكل أنواع الألم.

أ- التهميش:

أحد أهم الأسباب التي أدّت بالجزائر إلى الأزمة وتفاقمها هو التهميش وعدم المساواة بين فئات المجتمع، وقد كان الضحية الأولى والأخيرة هو الشعب عامّة والشباب والمراهقين بصفة خاصة. تم إهمال مطالبهم وعدم تحقيق رغباتهم. وبهذا زُرع فيهم اليأس وقُتلت رغبتهم ودُفنت أحلامهم.

وممّا يدل على التهميش في رواية "أعشاب القلب ليست سوداء" ما جاء على لسان البطل: "آه...! أنفقنا العمر على الأماني ولا شيء يتحقق، هل كثيرة علينا الأماني؟"[2] أي أن طالت أماني الشباب ولم يتحقق منها ولا أمنية وقال أيضًا:" هذا الشنفري الذي أصبحت حياته اليومية تشير إلى جدار، إلى أحلام بسيطة مستحيلة، منتهكة إلى حقوق وأحلام بسيطة ومستحيلة، إلى تسمم علني بالشعارات"[3].الشنفري حيث يقصد بها (الزوالي) الإنسان الفقير، وإن أحلام الشباب ضاعت في ذلك الزمن حتى أنها لا تتعدّى جدران غرفهم بل لا يتجرؤون على التفوه بها حتّى. حيث قال الهادي أيضًا: "أذكر اليوم جارنا توفيق الشاب ذو الخامسة والعشرين والذي قهره انتظار فرصة عمل، وحين كبر اليأس الذي بداخله وصار شيطانًا يُلازمه أينما ذهب وحيثما حلّ، قرر الرحيل

---

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ص38.

[2]- المصدر نفسه ، ص12.

[3]- المصدر نفسه ،ص32.

عبر البحر حراقة)"[1]. بسبب التهميش ضد الفئة التي تسعى إلى العمل وتحقيق أمانيها. تم قتل موهبتها حتّى أصبحت تلجأ إلى حلّها الوحيد وهو الهجرة للهروب من واقعها المعاش.

ب- الطبقية:

هي يصطلح يدل على وجود تفاوت طبقي في المجتمع سواء كان هذا التفاوت اقتصاديًا أو اجتماعيًا ولقد انتشرت ظاهرة الطبقية في فترة العشرية السوداء من خلال الصراع الذي تعرض له الوطن بين السلطة والإرهاب والتي راح ضحيتها الشعب الجزائري.

وتتجلّى الطبقية في رواية "أعشاب القلب ليست سوداء" من خلال قول الهادي: "حيث الطبقة السياسية تجمع الثروة، وحيث البسطاء يجمعون أوجاعهم، ويتأبطونها ويسيرون منهمكين في البحث عن الرغيف، وعن الكرامة"[2]، أي أن الشعب هو الضحية الأولى حيث السلطة تجمع الثروة عكس العشب فإنّه يحمل الأوجاع ويبحث عن العمل وعن الرغيف وكرامتهم.

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ،ص32.

[2]- المصدر نفسه، ص31.

ج- العنف: أنواعه وآثاره:

- العنف الاجتماعي:

يُعد العنف سلوك فعلي أو قولي تستخدم فيه القوة باستخدامها لإلحاق الضرر والأذى بالنفس أو بأشخاص آخرين.

فالعنف هو نتيجة للمشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي طرأت على المجتمع الجزائري ابتداءً من سنة 1988 وخلّفته في نفوس المواطنين. وقد تجسّدت مظاهر العنف في رواية "أعشاب القلب ليست سوداء" حيث استيقظ الهادي مفزوعًا بقوله: "فجأة ينطلق صوت رصاص قادم من مكان مجهول، ومعه ترتفع أصوات غاضبة، صاخبة... ولا أدري بعدها كيف قفزت رائحة الجثث المتعفّنة... دموع النساء... ووجدتني أشهد دمار الشوارع والمدن"[1]. وهنا بدأت تنتشر ظاهرة العنف الاجتماعي بشكل مباشر، حيث استيقظ الهادي على صوت الرصاص والذي لم يكن في حساباته، وانتشار الجثث في الشوارع ممّا أدى إلى خوف الصغير والكبير وأشارت الكاتبة أيضًا في الرواية إلى: "صخب وعنف كان يواصل هؤلاء مهمتهم بإصرار يواصلون صراخهم وتهديداتهم، شباب من مختلف الأعمار... حاملين الحجارة، العصي، الأخشاب، المقابض الحديدية... محطّمين جليد الصمت الطويل"[2]. ومن هنا أصبحت غاية المواطن هي الرد على السلطة وقراراتها بطريقة عدوانية في احتجاجاتهم من أجل تلبية متطلباتهم. بحيث أن المواطن أو الشعب هو الضحية الأولى في هذا الصراع خاصّة فئة الشباب منهم.

وورد أيضًا في نفس الرواية: "وظلّت الشوارع يومها خالية من المارة، من الحياة ... إلّا من رائحة الموت وزعيق سيارات الإسعاف"[3]. حيث أصبحت المدن، الشوارع، القرى، المؤسسات،

---

[1]- نعيمة معمري ،عشاب القلب ليست سوداء، ص33.

[2]- المصدر نفسه ،ص35.

[3]- المصدر نفسه ، أص34.

كلّها حطام، انتهت بهذه الأرض الدمار الشامل أصبحت أرضًا حزينة جرداء مغطاة بالدماء، أرض ترمز إلى التعاسة والحزن.

و يعتبر العنف نقيضًا للوجود الطبيعي حيث يكون الفرد أو الجماعة في صراع من قبل جماعة مسيطرة عليها.

" تنزع طبيعة الإنسان إلّا أن يكون مع شيء ما يخرج منه إمّا منتصرًا أو مهزومًا ويتم الصراع في نطاق علاقة يكون فيها فرد أو جماعة مسيطرة عليها. والعلاقة هنا علاقة قوة"[1]ومنه الفرد الواحد أو المجتمع ككل يدخل في صراع حيث تكون هنا قوة مسيطرة عليه فيلجأ إلى استعمال كل وسائل القوة لتصدي هذه السيطرة والخروج منها إمّا منتصرًا أو مهزومًا وهذا ما أشارت إليه الكاتبة نعيمة معمري بقولها: "سياسي كانت عملية الاحتجاج تطال الأسواق، المؤسسات... الشرطة تتدخل، لتفرق جموع المتظاهرين... يعبرون من شارع إلى آخر يزرعون"[2] تتواصل عملية العنف من طرف المواطنين المحتجين، حيث يواصلون تدمير كل ما يجدونه في طريقهم.

- **العنف السياسي:**

كان للظروف السياسية تأثيرًا كبيرًا في حالة الوطن الذي لجأ للدمار والخراب نتيجة الأوضاع المتردية وعد التسيير الجيد والاستغلال من قبل الحكام والسلطة. حيث جعل كل هذا المجتمع ضحية للواقع السياسي.

وممّا ورد في الرواية: "الشرطة تعزز صفوفها وتتربص في المكان بإصرار... ترفع الهراوات بقسوة في وجوه المتظاهرين ثم حين تفشل تستعمل القنابل المسيلة للدموع، المياه الساخنة، ممّا كان يثير المتظاهرين أكثر فيزداد الصخب، الغضب"[3]وكان هذا تدخل المصالح الأمنية بقواتها

---

[1]- عبد الحميد رشوان، في القوة والسلطة والنفوذ، د ط، مركز الاسكندرية للكتاب، 2006-2007، ص19.

[2]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء، ص33.

[3]- المصدر نفسه ، ص33

الخاصة، واستخدام مختلف وسائل العنف والتعذيب والتدمير ضد المتظاهرين، ممّا أدّى إلى إثارة العنف أكثر وأكثر وازدياد الغضب.

وقد جاء في رواية "أعشاب القلب ليست سوداء" ألفاظ عديدة تحمل معنى السياسة منها :" الطبقة السياسية، السلطة، الوطن، الديمقراطية، تكتيك، المسؤول، الحرية، التعدد" وقيل أيضًا: "أجل، يومها كثيرًا ما تقيء فجرنا جثثًا زرقاء لأجساد مغامرة، أجساد رحلت رفقة قوارب الموس السوداء ولم تعد"[1]نتيجة العنف السياسي الممارس ضد الشعب حيث أخذ بعضهم إلى الموت وخلّف في نفسية البعض الآخر جروحًا عميقة أدّت إلى النفور من البلاد.

وقد جاء على لسان الهادي في الرواية: "شاهدت جماعة من عناصر الأمن، تتوغّل داخل المكان راكضة وراء مجموعة من الشباب القصّر المتراوحة أعمارهم بين 14 سنة و18سنة، وتمكّن أحد هؤلاء الرجال من الإمساك بشاب لم يتجاوز ربيعه الخامس عشر، حيث انهال عليه ضربًا بكل قوة. تارة على رأسه، وتارة أخرى على كتفيه وباقي جسده، ثم حيث انكهك الضرب، ألقاه على الأرض وراح يركله بكل قوة، بكل حقد، حتّى أدماه"[2]. بشهادة الهادي كان هناك مجموعة من رجال الأمن يلاحقون مجموعة من المراهقين وعنما أمسكوا بأحدهم قام رجل الأمن بتعنيفه بطرق بشعة بكل غضب وكره.

- **العنف ضد المثقفين:**

"إنّها إيديولوجيا السلطة كنوع من العنف الناعم ضد المثقفين، لاستخدامهم كفاعلية لتحذير الرأي العام والحد من خطورتهم"[3]، وهذا يعني أن الحكومة حسب ما يشير إليه الواقع لازالت تظلم الشعوب خاصّة الفئة المثقفة منها.

---

[1]– نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ص32.

[2]– المصدر نفسه ، ص35.

[3]– حمزة بوزيدي، التمثيل السردي للمهاجر في الرواية الجزائرية، دراسة نموذج من منظور سردي ثقافي، رسالة دكتوراه، جامعة محمد لمين ذباغين، سطيف 2، 2021/2020، ص48.

وممّا جاء في الرواية التي بين أيدينا على لسان الهادي: "أذكر اليوم جارنا توفيق الشاب ذو الخامسة والعشرين والذي قهره انتظار فرصة العمل، وحيث كبر اليأس بداخل وصار شيطانًا يلازمه أين ما ذهب وحيثما حل قرر الرحيلة عبر البحر (الحرقة)"[1]. العنف الثقافي يشتت تفكير الشباب المثقفين ممّا أدّى إلى حلّ وحيد وهو ترك الوطن والهجرة إلى أوطان أخرى للبحث عن فرصة عمل وتحسين الأوضاع المزرية المُعاشة في الوطن حيث يتساءل الهادي في نفسه قائلًا: "الشرطة مرّة أخرى رابضة هنا بكثافة؟ ثم لماذا وزارة التربية والتعليم؟ هل هو احتجاج على الكتب التي لقّنوهم إيّاها رجال التعليم، والتي لم يجنوا منها سوى البطالة، الفراغ، جدار، وحفنة من النظريات الهزيلة، التي لا تسمن ولا تغني من جوع؟"[2] أي أن كش الدراسة التي درسوها والثقافة المكتسبة لم تكتن ذات أهمية بالنسبة لهم بل كان مهمشة كليًا نتيجتها هي البطالة وفي نفس الرواية ورد: "في أعلى المكان كان مبنى وزارة الثقافة ينتصب بوقار، يغمض عنينيه عن جراحنا، نائمًا في حضن حديقته الجميلة"[3].

أي أن المبنى كان مُصرًا على الحياة وصامدًا ومؤمنًا بالثقافة والجمال حتّى في أقسى لحظات الوطن.

د- الصراع الإيديولوجي:

ظاهرة الإرهاب التي انتشرت آنذاك هي كارثة حتمية داخل المجتمع الجزائري ككل، فعند سماع مصطلح إرهاب لوحده يأتيك خوف ورعب. فهو مصطلح يشير إلى العنف والظلم والغضب والتعصب، كان للجماعات الإرهابية دور كبير في تفاقم الأزمة المُحلة بالبلد، فهي تدمّر كل شيء لتصل إلى تحقيق رغبتها والوصول إلى أهدافها المرعبة.

---

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء، ص32.

[2]- المصدر نفسه ، ص36.

[3]- المصدر نفسه ص37.

في ظل هذا نشأ صراع كبير بين الإرهاب والسلطة بسبب مخططات سياسية خفية، وأيضًا لأسباب أخرى في مختلف المجالات.

ولقد ظهرت جماعة إرهابية تسببت في دمار العديد من الأحياء في العاصمة وقد جاء في قول الهادي: "المعلومات الأولى تقول أنه تم العثور على جماعة إرهابية في أحد الأحياء بقلب العاصمة، ومبدئيًا يشتبه بأن تكون هذه الجماعة هي المسؤولة عن الانفجارات الأخيرة التي هزّت العاصمة في أسبوع أسود دام، وبالضبط الانفجار الزي راح ضحيته أزيد من 100 شخص"[1]. وهذا كان أول ظهور للجماعة الإرهابية واكتشاف أنها كانت السبب في الانفجارات التي حلّت بالعاصمة والتي خلقت العديد من الضحايا، ومن هنا بدأ الصراع بين الإرهاب والسلطة حيث "حوصرت المنطقة بإحكام، منع التجوال على كل شخص مهما كانت صلته بالوضع... ذلك خوفًا من تسلل الجماعة الإرهابية"[2] عند الشعور بخطورة الوضع والخوف من خطر الإرهاب قامت الشرطة بمحاصرة إحدى البنايات التي تتواجد فيها جماعة الإرهاب.

ومن هنا بدأت المواجهة وتصدّى كل طرف للآخر وحدوث اشتباك بين الطرفين، وهذا ما ورد في الرواية: "تبادل إطلاق النار أسفر في البداية عن مقتل ثلاثة عناصر من عناصرنا... في حين أصيب عدد من الإرهابيين بالداخل... هذا التبادل دام تقريبًا ساعتين"[3] وهذا الاشتباك خلّف ضحايا من كلا الطرفين.

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء، ص85.

[2]- المصدر نفسه ص86.

[3]- المصدر نفسه ص87.

وقد دام هذا الصراع أيّام متتالية مع عدم استسلام كلا الطرفين واستمرار المواجهة والشرطة تمنح الطرف الآخر فرصة ثانية من أجل الاستسلام، لكن دون جدوى وهذا ما زاد غضب الشرطة وقررت المقاومة حتّى النفس الأخير: "دخلنا مرة أخرى مع الجماعة الإرهابية لكن دون جدوى"[1].

ومع استمرار هذا الوضع بدأت القوات الإرهابية تضعف شيئًا فشيئًا وقل نفوذها وهذا ما جعلها فريسة سهلة للقضاء عليها: "كنّا ندرك أن عدد الطلقات قد قلّ، يعني أن الذخيرة قد نفذت"[2].

وفي الأخير تمكنت الشرطة من الفوز والقضاء على الجماعة الإرهابية. "التعليمات تقول: وقف إطلاق النار، المهمة انتهت... هنا وهناك جثث زرقاء في طريقها إلى التعفن وأسلحة الموت والدمار ملقاة في كل مكان"[3]. وانتهى هذا الصراع بين السلطات المحلية بالفوز على الجماعات الإرهابية.

[1]– نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء، ص88.

[2]– المصدر نفسه ص88.

[3]– المصدر نفسه ص89.

ثانيا: أزمة الهوية الفردية:

1- الاغتراب داخل المجتمع:

لقد أصبحت ظاهرة الاغتراب آفة خطيرة يعاني منها الأفراد في الحياة العامة وخاصة فئة الشباب منهم وذلك لما تخلّفه من انعكاسات سلبية على نفسيتهم وقد انتشر هذا المصطلح بكثرة في الآونة الأخيرة بمختلف أنواعه وذلك لأسباب نفسية واجتماعية وسياسية واقتصادية ومن بين أنواع الاغتراب نجد الاغتراب الجماعي وهو الذي يحدث بين الفرد ومجتمعه "وهو ما يعني الاغتراب عن المجتمع وقيمه وعاداته ومعاييره والشعور بالعزلة والهامشية الاجتماعية والعجز عن ممارسة السلوك الاجتماعي"[1]، أي أن الاغتراب هو تلك الحالة الاجتماعية التي يشعر بها الفرد بعدم انتماءه إلى مجتمعه والعزلة والابتعاد عن الأفراد كما يشعر على أنه غير قادر على أداء وظيفته في المجتمع وهذا النوع من الاغتراب ما حدث في شخصية الهادي من رواية "أعشاب القلب ليست سوداء" حيث أصبح معزولًا عن مجتمعه وذلك في قوله: "أعشر أنني جثة هربت من مصلحة حفظ الجدد من مستشفى ما دون علم أحد"[2] أي أنه أصبح غير قادر على مخالطة أفراد المجتمع وعدم القيام بشيء من أنواع العمل حيث يقول أيضًا: "يا الله ... من لديه القدرة على الفرح؟ على إنجاب طفل؟ ... من ... من ..."[3]، أي فقد الرغبة في كل شيء (الفرح... الزواج...) وذلك نتيجة الصراعات التي حدثت في الوطن والصدمات النفسية التي حدثت في نفسية الهادي وذلك بسبب قتله لصديقه وشقيق حبيبته نوارة وذلك في قوله: "عندما رُفع رأسه المتدلي أصبت بصدمة حقيقية. أه... لقد كان الميت المقتول أمامي بيدي تحت عيوني، بمشاركتي

---

[1]- منى أبو القاسم جمعة عبد الرحمان، الاغتراب الفكري والاجتماعي في الشخصية القومية العربية، جامعة قاربوش، ليبيا (بنغازي)، ط1، 2008، ص38.

[2]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء. ص95.

[3]- المصدر نفسه ص95.

هو عبد النور، شقيق نوارة، نوارة حبيبتي وشمس حياتي"[1]. هنا شعر الهادي بصدمة وخيبة أمل ممّا جعله يدخل في صراع بين نفسه ومجتمعه حيث أصبح الحزن والعجز والقهر والندم يلاحقه في كل مكان وذلك في قوله أيضًا: "أحداث تلك الليلة اللعينة لا تزال تسكنني، كل الرصاص الذي دوى اخترقني، كل الموت الذي حدث حصدني، كل الانهيار، كل البشاعة، كل الموت، كل العجز، أصابني..."[2]حيث فقد الرغبة في العيش في هذا المجتمع الذي لا يكاد يخلو من المجازر من الحزن من الألم من الموت نتيجة الاضطرابات النفسية التي حدثت له بعد الصدمة.

وهذا أقسى ما يتعرض له الشخص من حالة الاغتراب حيث ينفصل الإنسان عن ذاته والابتعاد عنها وعدم قدرته على تحثيث هويته وحريته حيث يقول الهادي: "أهملت عملي خسرته خسرت حريتي، ورغم التهديدات التي تلقيتها لم أكترث، ولم أستطع ملازمة بيتي، وظللت خلالها أهيم في الشوارع دون هدف، أسير تحت مفعول مهدئات عصبية مختلفة ... أمنح نفسي للموت"[3]. هنا فقد الهادي ا لرغبة في الحياة وفقد ذاته وأصبح يعيش ليس كفرد في المجتمع إنما كغريب لا يكترث لأي أمر وهذا من أصعب حالات الاغتراب.

2-الخروج الاضطراري:

إن هجرة المواطنين وخاصّة فئة الشباب كان لمختلف الأسباب الاجتماعية كانتشار البطالة والفقر وتهميش مطالبهم وأحلامهم. ولكن شخصية الهادي في رواية "أعشاب القلب ليست سوداء" وضّحت لنا فيها الكاتبة أن هذا ليس هو السبب وراء هجرته وترك وطنه الذي تربّى وكبر فيه.

كان الهادي مضطرًا للابتعاد عن وطنه. فقد خسر فرحته (أصدقاء وحبيبته). أصبح وحيدًا في محيطه والحزن يحتويه لفقدان أصحابه زينو وحميدو وعبد النور. حيث يقول: "وبينما كنت أفكر

---

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ، ص90.

[2]- المصدر نفسه، ص96.

[3]- المصدر نفسه، ص107.

بموت عبد النور وموت كل من أحببت، زينو وحميدو وغيرهم"[1]. فقد أحبابه وظل ضميره يؤنبه على مقتل صديقه عبد النور "أحداث تلك الليلة اللعينة كانت لا تزال تسكنني، كل الرصاص الذي دوى اخترقني، كل الانهيار، كل البشاعة، كل الموت، كل العجز. أصابني... أخبئ وجهي سائرًا بين الشوارع، مسكونًا بوجه عبد النور... ثم أحدّث جيدًا في يداي فأجدهما ملطختين بدماء عبد النور، فأهلع، وأهرب، وأركض... وأصرخ في أعماقي: لماذا قادتك قدماك يا عبد النور إلى هناك... إلى موتك هناك؟"[2]، ظلّ يلوم نفسه والألم يعتصر قلبه كما كان يتحسّر على الحالة المزرية الزي وصلت إليها حبيبته نّوارة شقيقة عبد النور بعد خسارة شقيقها. ويلوم نفسه حيث يقول: " تفوه علي.. أهذا أنا السوبرمان الذي أحببت وتمنيت. وها هو يقف عاجزًا أمامك عزيزتي... آه أشعر بالعجز أنا رجل عقيم، عنيف، فاشل"[3]. يبصق على نفسه حيث يحطمه الشعور بالندم لأنه لا يستطيع مساعدة نّوارته وتغيير حالها للأحسن "ومع مرور الوقت، بدأ صبري ينفذ، قلّت رغبتي في الحياة بشكل واضح، بدأت أهزل، أفقد قدرتي على مقاومة الألم... أهملت عملي خسرته، خسرت حرّيتي... وظللت خلالها أهيم في الشوارع دون هدف... أمنح نفسي للوقت"[4]. ضعف هادي وفشله حيث بدأ يخسر شيئًا تلو الآخر، شغفه، قدرته، عمله وحريته و أصبحت الكوابيس لا تفارقه، أصبح يتمنّى الموت للفرار من أفكاره "سقطت على الأرض، ودخلت في غيبوبة، وهناك كنت مُتاحًا لكل الكوابيس، لكل الأشباح، لكل الحقيقة"[5]، غزت الكوابيس نومه حيث لا يفارقه وجه عبد النور كلما أغمض عينيه رأى ذلك اليوم المشؤوم.

ثم تأتي اللحظة المُرّة، المشهد المؤلم: "وأن أتسلق بصعوبة المدخل الرئيسي للمستشفى، تفاجأتُ بنوارة تعود إلى الحياة... تقف في حديثة المصح متأبطة دراع الطبيب الحكيم، تنزل نظراتها

---

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ص96.

[2]- المصدر نفسه ص96.

[3]- المرجع نفسه ص103.

[4]- المصدر نفسه ص107

[5]- المصدر نفسه ص108

الزائغة البعيدة إلى عينيه وتضحك... كانت تبدو سعيدة رفقة طبيبها. وكانا منسجمين كثيرًا، كأنهما يعرفان بعضهما البعض منذ عمر"[1]. الهادي يفقد أغلى شيء بقي له في هذا الوطن، ها هي حبيبته تمسك يد أحد غيره تهديه ضحكتها، تتبادل معه نظراتها، حيث يقول في نفسه: "وتماسكت، لم أكن أريد أن أبدو مصدومًا... يومها شعرت أن جبالا وبحارًا، بلدانًا وأنهارًا، طلعت فجأة بيني وبين نوارة... وصرخت لا... لا... وركضت بعيدًا، بعدما قرّرت أن أحمل حقائبي، خزائمي وخيباتي وأبحث عن أفق آخر لحياتي"[2]، شعوره بخيبة كبيرة، وشعوره بالخسارة ها قد أصبح وحيدًا تمامًا. وكان قراره هو جمع كل أغراضه المادية والمعنوية والبحث عن مسار جديد لحياته، كان حله الوحيد الهروب من هذا الواقع المرير، حيث فور ترك البلاد والعيش في بلد غير بلده، ربّما هذا ينسيه كل تلك الأحداث المزرية المتتالية.

3- البحث عن هوية بديلة:

يُحاول المهاجر اكتساب ثقافة الآخر وذلك من خلال تحقيق الانسجام الثقافي عن طريق اكتساب هوية بديلة والانفصال عن كل ما يرتبط بهويته الأصلية وذلك لخلق الانسجام والتوافق والعيس في ذلك المجتمع الذي هاجر إليه والانشغال بعمله والمشاكل التي تواجهه هناك والانفصال عن كل ما يحدث في وطنه الأصلي من حروب وأزمات... وترك كل الأصول والعادات والتقاليد المرتبطة به والانشغال بإقامة علاقات اجتماعية وعائلية في المجتمع الجديد وهذا ما جاء في رواية أعشاب القلب ليست سوداء: "الوطن مجرد رقعة جغرافية لا أكثر، وأن أي مكان في هذا العالم يصلح أن يكون وطنك، ما دام يحقق لك حريتك، استقرارك ... وأمنك!"[3] ومنه فالمهاجر

---

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ص103.

[2]-المصدر نفسه ص111

[3]- المصدر نفسه ص96.

يبحث عن حريته واستقراره في أي وطن كان يمنحه هذا الاستقرار والابتعاد عن كل أشكال العنف التي تعرض لها في موطنه الأصلي.

كما جاء أيضًا في نفس الرواية محاولة انسجام بطل الرواية الهادي في المجتمع الغربي لندن: "محاولًا قدر المستطاع أن أشبه هؤلاء البشر، أن ألتصق بهم، وأركض مثلهم، أحاول أن ألبس وجوههم الباردة"[1]. فهو يريد أن يتخلص من كل ما يشبهه في الماضي ويريد أن يصبح الرجل اللندني اللامبالي لكل ما يحدث حوله.

و تتعالق مجموعة من العوامل الشخصية لتساعد المهاجر على التطابق مع الثقافات الجديدة، على رأسها إتقان لغة الآخر بصورة جيدة، وهو ما يخفف من حدة الاختلاف[2]، فإتقان لغة الآخر يمكن المهاجر من فهم آليات المجتمع الذي يريد العيش فيه، والتحرك بآليات عالية والانخراط فيه وتسهيل معرفة ثقافته، لأن معرفة لغة جديدة يعني معرفة حضارة جديدة وذلك لقول الهادي: "نحن نتقن لغة المستعمر الفرنسي أكثر من الفرنسيين أنفسهم... اللغة الفرنسية اليوم بعد الاستقلال تعتبر مكسبًا كبيرًا ولا نحمل لها أي ضغينة أو عدائية، بالعكس إنها وسيلتنا للنظر إلى العالم قراءاته وكتاباته"[3] ومنه فإتقان لغة بلد الاستقبال ضرورة وجودية وآلية ممهدة لولوج سياقات الهوية البديلة وممارستها. فإتقان لغة الآخر ميزة مهمة بتوفير فرص وظائف أفضل كما تسهل اندماجه الاجتماعي في إدراك الذات.

ومنه فالثقافة لها دور مهم في اكتساب المعرفة وتوفير حاجيات المهاجر في وطنه غير الأصلي عكس بلده الأصلي الذي يضع الفرد المثقف في جهة التهميش نتيجة الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تجعله يبحث عن ذاته ويحدد هويته من أجل العيش الذي يطمح إليه.

---

[1]– نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ص116.

[2]– حمزة بوزيدي، التمثيل السردي المهاجر في الرواية الجزائرية الجديدة، دراسة نماذج من منظور سردي ثقافي، رسالة دكتوراه جامعة محمد دباغين، سيطف 2، 2021/2020 ص102.

[3]– نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء، ص152.

4-فقدان الذات:

يعيش المهاجر العربي حالة من الاغتراب داخل المجتمعات الغربية وذلك من خلال الاختلاف الثقافي "إذ يشعر المرء أحيانًا بالاغتراب الذهني لأنه يدهش من سلوك بعض الناس ولا يدرك ردود أفعالهم ولأنه يشعر بأنهم لا يسلكون كما يجب"[1]، وهذا ما يجعل الفرد لا يتوافق مع تلك البيئة ويفقد قدرته على التفاعل معها وعلى صحته البيولوجية والنفسية الاجتماعية، وبعد جهوده في البحث عن ذاته الجديدة والفشل في ذلك جراء الوضع الهامشي الذي وضع فيه تبدأ معالم الانهيار تظهر على بطل الرواية وذلك في عدم قدرة الهادي على مسايرة العالم الجديد والانخراط فيه والتفاعل معه بصورة إيجابية يقول: "لا أريد أن أعمل لأنني لا أقدر مطلقًا التجاوب مع حقيقتي الداخلية ولا أقدر التجاوب مع الوجوه المحيطة بي"[2]، هنا فقد الهادي قدرته على التواصل مع الآخرين وهذا نوع من الصراع الداخلي أو بين هويته الأصلية وهيته البديلة إذ يريد الحفاظ على هويته الأصلية التي لم يستطع التفاعل بها مع الهوية البديلة وذا ما يُسمّى بفقدان الذات والتي تؤدي إلى أمراض نفسية وأزمات تصيب الفرد المهاجر وهذا ما حدث أيضًا مع الهادي في الرواية إذ يقول: "أحيانًا أجلس شاردًا لساعات أراقب البط في حركاته المتكاسلة داخل البحيرات الهادئة، أغلق التلفون، أنفصل عن الجميع وأبكي من الداخل... أبكي"[3] وهذا نوع من الانغلاق والصمت وهو عنف ارتدادي داخلي تكون فيه الذات هي الباث والمتلقي في آن واحد إذ يكبت كل المعاناة في نفسه ولا يستطيع البوح بيها إلّا عن طريق البكاء أو تركها في نفسه.

والهجرة ليست اقتلاع المهاجر من جذوره المكانية فقط وإنما اقتلاعه من هويه وثقافته وعاداتي حتّى يصبح يعاني حالة من الانفعال المرضي وذلك تعبير عن اغترابه وفقدانه لذاته وهويته فيلجأ بعض المهاجرون إلى الخمر والذي يتلف عقولهم وذلك لنسيان الماضي أو المعاناة

---

[1]- أليكس ميكشللي، الهوية، ت: علي وطفة، دار النشر الفرنسية، ط1، 1993، ص29.

[2]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء، ص182.

[3]- المصدر نفسه ص 167.

التي تحدث في الوطن الأصلي وهذا ما لجأ إليه الهادي بطل الرواية عندما سمع بالأحداث المريرة التي حصلت في الوطن وإمكانية العودة إليه لكنه بقي محصور في ضل إمكانية العودة إلى الوطن الذي يشهد الحروب الأهلية أم في الحصار المفروض في الغربة وذلك من خلال جواب "سي أمحند" على سؤال الهادي إذ يقول: "آه يا وليدي يا لهادي، لبلاد ماشي ساهلة، والغربة ماشي ساهلة، سقطنا إذن في فخ أخف الضررين، آه ... أين هي أقرب حانة؟"[1].

الآن الحانات والملاهي والخمر وأنواع المخدرات والمشروبات التي تتلف العقل هي الحل السريع لمعالجة المعاناة والأحزان التي يعاني منها المهاجر، وعندما يصبح من الصعب مواجهة واقع الغربة ولا يستطيع أن يتوافق مع ذاته وهويته وبالرغم من أن اللغة تعتبر العامل الأول للانسجام في البلدان الأخرى إلّا أن الهادي رغم اتقانه للغة الفرنسية واللغة الإنجليزية إلّا أنه لم يلتقي بالحياة التي يريدها وهنا نرى أن الهادي فقد هويته وفي ذلك يقول: "يا الله... أنا وحيد غريب وجائع إلى الكلام، أي كلام، جائع إلى اللغة التي يتمتني أوطانها اللغة التي حرمتني أوطانها وكتبتني مشردًا، غريبًا، بائسًا، يتيمًا، أنا جائع إلى لغة بلادي، آه... بلادي، وأفيق من هدياني وأضيف بسذاجة، من يدري ربما علمونا لغاتهم لنعود صوبهم يومًا"[2]هنا الهادي يشتاق إلي لغته الأصلية، وهي اللغة العربية فهو يريد العودة إلى هويته الأصلية لأن اللغة من أهم مقومات الهوية بالإضافة إلى التاريخ والدين.

وفقدان الذات لم يشمل الهادي فق إنما يشمل كل مهاجر عربي ذهب قسرًا ونفيًا واغترابًا من موطنه الأصلي حيث يبقى مشتاقًا وغريبًا في تلك الدول وذلك لعدم توافقه مع تلك الدول وفقدان الهوية لا يمكن تعوضه بالأموال والشهوات وهذا ما أقره الهادي بعد مساعدته لفلسطيني على تجاوز محنة الضمير وتأنيب الذات حيث يقول متحسِّرًا: "ياه... هذا الثري الفلسطيني ليس

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء، ص182.

[2]- المصدر نفسه ص133.

سوى كائن مسكين بائس، يثير الشفقة لأنه مهما تضخمت أمواله لن يستطيع أن يشتري وطنًا، ولن يستطيع أن يشتري كرامة..."[1] ومنه فالهوية والأمن الداخلي لا يمكن شراؤه إلّا بالعيش الرغيد في الوطن الأصلي.

ومنه ففقدان الذات لازال هاجس يعيش في نفوس الجاليات العربية المهاجرة داخل البلدان المضيفة وتأثيره على الذوات في مواصلة الإتلاف والرجوع إلى نقطة البداية.

5- العثور على الذات:

يسعى دائمًا المهاجر إلى البحث عن ذاته في بلاد أخرى، يبحث عن ذات جديدة غير التي تركها خلفه، فمن المنطقي جدًا أن المهاجر يقطع علاقته بالأرض والناس. ويحاول إيجاد أرض أخرى وأناس آخرين.

أول ما يطرأ على بال المهاجر حين وصوله إلى بلاد أخرى هو البحث عن سكن لتجنب التشرد، ومعاينة الوضع الجديد والتأقلم معه، فرغم حصول بطل روايتنا على الإقامة إلّا أنه لم يكن يريد المكوث هناك، حيث يقول: "لكنني أبدًا لم أفكر الإقامة في بلد الصقيع هذا، أكثر ممّا كنت أفكر منذ وصولي إلى لندن في العودة إلى أرض الوطن"[2]حصل الهادي على أهم شيئين في بلاد الغربة أولهما كان الحصول على وثائق الإقامة أمّا الثانية فكانت على صديقة أجنبة (حبيب) تدعى هذه الفتاة "لورا"، كانت سندًا له في تلك الغربة حيث منحته وثائق الإقامة لتجنبه وليات التشرد، حيث أنه كان دائمًا ما يجد فيها النجاة من ظروف الغربة القاسي، وهذا جعله يعاملها كامرأة عربية، وذلك تحت دافع عاطفية وأخرى مرتبطة بفكر الرجل العربي: "وأظل يوميًا أطالبها بشتّى أنواع الطاعة لدل حقيقي... في الحقيقة كنت أحاول أن أجعل من لورا امرأة قادمة

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ص140.

[2]- المصدر نفسه ص 152.

من بلادي"[1]، يحاول الهادي جاهدًا أن يجعل من فكر "لورا" فكرًا عربيًا كي لا يشعر دائمًا بالغربة فهو لا يزال ينتمي إلى وطنه محافظًا على قيمه ومبادئه.

لم تكن "لورا" تلعب دور المرأة الجزائرية في نظر "الهادي". فبالرغم من كل مجهوداها المبذولة لتحقيق انسجامه واستقراره في لندن، إلّا أنها لم تستطع إخراجه من كآبته وحزنه ولم تفلح في إسعاده إذ يصرخ: "وأعمل... أعمل... وأمارس الحب، لورا فتاة جميلة، لكنها عاجزة عن إسعادي لأنها لا تشبهني... وهي عاجزة أن تنسيني الوطن، إيه... الوطن"[2]يظن الهادي أن نزعة التملك هذه والتسلط على لورا قد يُكسبه هوية أخرى وأنه بإمكانه من تغيير فكرها الغربي، حيث يتناسى مع الزمن جروحه ووطنه، إلّا أن شيئا واحد كان عالقًا في ذهنه، أن هويته لا تتطابق مع هويتها، وأنه كل مبادئه مختلفة عن هناك، وأن ثقافة أخرى سائدة هناك غير ثقافة بلده المتواضع حيث يقول بتحسر: "أنا جائع إلى لغة بلادي، آ... بلادي... وأمد يدي بحزن إلى داخلي، وأخرج كل الأسئلة والخناجر العالقة في أعماقي"[3] حيث يعاني الهادي من صعوبة التأقلم مع الحيات الصعبة في مدينة لندن، على عكس "سي أمحند" حيث يدفعه فضول التساؤل عن كيفية تحقيق الانسجام مع هذا المحيط إذ يقول له: "يا عمي سي أمحند يا وليد بلادي، كيف استطعت أن تبتلع هذا الكم الرهيب من الغربة، واستطعت أن تُحصن حياتك ضد هذه العفونة، أن تبرمج يومياتك وفق توقيت الوطن... تنصت إلى أحزاننا كأن لا أحزان لديك... ولا تشكوا أبدًا"[4]. حيث أن سي أمحند أصبح متأقلمًا مع الوضع والعيش هناك دون شكاية ولا ملل، فقد عود على تنوع الهويات هناك، واختلاف الثقافات.

---

[1]– نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ص149.

[2]– المصدر نفسه ص152.

[3]– المصدر نفسه ص178.

[4]– المصدر نفسه ص178.

إن كل محاولات الهادية وتجاربه للعثور على ذاته واستقراره النفسي والانسجام داخل فضاء وطن آخر غير وطنه باءت بالفشل، حيث ظل يرى نفسه غريبًا لم يتمكن من بناء شخصية وهوية جديدة حيث يقول عن ذلك: "أشعر أنني أنحدر في أكثر غابات مظلمة، معقدة، وأنني وحيد منبوذ مشرد وحزين، كل محاولة للتأقلم هي محض فشل... فشل"[1]ففي رحلته للبحث عن ذاته في هذه المدينة الضبابية وقع "الهادي" في مشكلة صعبة لأنه يحاول العيش والاستقرار بنمط ومبادئ الوطن الأصلي، في فضاء مخالف تمامًا لبيئته ومحيطه الأصلي، ثقافة لا تشبه ثقافة بلده. وخلال هذه الرحلة أصبح "الهادي" يعاني تشتتًا وتفككًا هويا، فهو يحتاج إلى الانتساب وكسب هوية جماعية لأن الهوية الجماعية تساهم في الاندماج داخل هوية وطنية مشتركة، فإن هذا ما كان ينفذه الهادي تمامًا.

ثالثا: الهوية و الآخر

إن الآخر عنصر أساسي في تشكيل الهوية، فكل إنسان يقوم بتشكيل دوره وقيمه وأسلوب حياته مقارنة بالآخرين.

أ-مفهوم الآخر:

لغة:

ورد في قاموس محيط المحيط معنى آخر في اللغة: " مدلول الآخر في اللغة خاص بجنس ما تقدمه فلو قلت جاءني رجل وآخر معه لم يكن الآخر إلّا من حبس جنس ما قلته بخلاف غير فأنها تقع على المغايرة مطلقًا في جنس أو صفة. ج آخرون، والأنثى أُخرى واخراة"[2]. وجاءت لفظة "آخر" في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ص178.

[2]- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، 09 سبتمبر 2008، ص5.

إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1]

تعريف ومعنى الآخر في معجم المعاني الجامع:

"آخر: (اسم)

الجمع: آخرون وأُخَر وأواخر، المؤنث: أخرى.

الجمع المؤنث: أُخريات وأُخر"[2]

-اصطلاحًا:

تتعدد المفاهيم الاصطلاحية لمصطلح الآخر، حيث أنها لا تخرج عن دائرة الاختلاف. حيث يذهب نادر كاظم إلى القول: "أمّا الآخر فهو الكائن المختلف عن الذات. وهو مفهوم نسبي ومتحرك، ذلك أن الآخر لا يتحدد إلّا بالقياس إلى نقطة مركزية هي الذات، وهذه النقطة المركزية ليست ثابتة بصورة ملقة، فقد يتحدد الآخر بالقياس إليّ كفرد، أو إلى جماعة معينة"[3] فهو من المصطلحات غير الثابتة والمرتبطة تمامًا بزوايا نظر الذوات، فما هو آخر بالنسبة لشخص ما أو جماعة ليس آخر بالنسبة لخص أو جماعة أخرى.

"الآخر أو الآخرون: مصطلح يشير عادى إلى كل ما هو غير النفس المستقلة، بمعنى كل ما هو غير نفسي أنا، يعد من الآخرين، وكل فرد فيهم يطلق عليه مصطلح "الآخر"، و"الآخر"

[1]- سورة المائدة، الآية 107.

[2]- معجم المعاني الجامع، معجم عربي- عربيwww.almaany.com

[3]- نادر كاظم، تمثيلات الآخر، صورة السوء في المتخيل العربي الوسيط، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، 2004، ص20.

هنا تعني أيضًا أنه كل ما هو يختلف عن الأصل"[1]. فإن الآخر هو مقابل الذات، وهو ما يختلف عن النفس الذاتية.

"لا يمكن النظر إلى الآخر بنفس الصورة في كل الظروف والسياقات وإنّما وفق مجموعة من التحديدات"[2]، تختلف وضعية الآخر، فهناك مجموعة من التحديدات يُنظر إليه من خلالها.

فإن الآخر هو من تختلف معه حصرًا ففي الغالب ينطوي مفهوم الآخر على فهم جوهري لذات، فالذات هي من تحدد آخرها.

ب- الآخر المتسامح:

يواجه المهاجر العربي عدّة صعوبات في إيجاد آخر متلائم مع شخصيته ومتناسب معه ويفهم عقليته حيث يقدم له يد المساعدة والعون إلّا أن بطل رواية "أعشاب القلب ليست سوداء" لم يواجه صعوبات كثيرة في هذا فقد عثر على ذلك في الأخر الذي يبحث عنه كل مهاجر، حيث تم حصوله على آخر محبًا له متسامحًا معه وهي لورا حبيبته، كانت بدورها تقوم بمساندته في أي وضع حيث منحته وثائق الإقامة. وكانت صديقته وحبيبته في بلاد الغربة حيث يقول الهادي: "أذكر يوم حلّت لورا في حياتي وأصبحت جزءًا من يوميّاتي... والتصقت بي منذ ذلك الحين لورا، وظلّت ترافقني يوميًا تقريبًا إلى مكان عملي، وحين كنت صادفت الكثير ممن عرفت في تلك الفترة كانت عبارة واحدة تسكن نظراتهم عبارة تقول: هنيئًا لك أوراق الإقامة الرسمية؟"[3].

وكانت الفتاة اللندنية التي تُدعى لور تهبه كل شيء بكل طاعة، دون ملل إذ يقول: "وأظل يوميًا أطلبها بشتّى أشكال الطاعة بذُل حقيقي... لكن لورا تظل دائمًا مطيعة، وديعة في عيونها

---

[1]- ميمونة مناصرية، الهوية بين الأنا والآخر، قراءة في التراث المعرفي، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي، م6، ع1، 2019، ص211.

[2]- حمزة بوزيدي، التمثيل السردي المهاجر في الرواية الجزائرية الجديدة، دراسة نماذج من منظور سردي ثقافي، رسالة دكتوراه جامعة محمد دباغين، سيطف 2، 2021/2020، ص 140

[3]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ص149-152.

الزرقاء الصافية، تنام سكينة بلهاء"[1]. حيث يقول أيضًا: "لورا التمثال الإنجليزي الجميل الذي يحلو لي أن أعذبه على طريقتي، لورا المطيعة، العذبة الهادئة، والعاجزة عن فهمي"[2]، رغم كل الجهود التي تُقدمها من أجله فهي تظل في مخيلته عاجزة عن فهمه.

"وهممت بالخروج غاضبًا دونما استئذان في حين راحت لورا تركض ورائي تتوسل بقائي كطفلة لا تعرف ما الذي ستفعله دوني... يصلني اتصال من لورا فأقفل التلفون"[3]، تستمر هذه الفتاة العاشقة للهادي في فعل ما بوسعها للتقرب منه أكثر والحفاظ عليه إلّا أنه يواصل تجاهله لها، وممارسة الذل عليها دون أن يعرف قيمة حبها وتعلقها الشديد به.

لورا هذه الفتاة الشقراء تسعى جاهدة من أجل جعل الهادي فردًا من أسرتها رغم رفض والديها له.

"في المساء كانت لورا تطرق باب شقّتي كعادتها محمّلة بأنوثتها بعطرها، بمكرها... ورغم صمتي وسكوتي ظل صوتها مرحًا، يحمل تلك الرغبة المحمولة التي أعرفها جيدًا... ولم أدرك كيف دفعتها بعيدًا عني وبحركة غير إرادية رفعت يدي عاليًا وانهلت على خدّها بصفعة قاسية"[4]. لورا ورغم كل ما كانت تتلقاه من عنف وضرب وذل من الهادي إلّا أنها كانت هادئة لحد ما، ظلت صامدة، متمسكة به، تمنحه كل الحب والاهتمام، كانت مستسلمة له ولمتطلباته. ظلّت تقدم له يد العون ؟لت داعمة إياه، حتى بعد قطع علاقتها به، وذلك بعد دخوله السجن بتهمة الإرهاب الموجهة للعرب والمهاجرين المسلمين، حيث دفعت الكفالة المالية اللازمة، حيث يقول الهادي في هذا الموقف: "قبل غروب ذلك اليوم، تم استدعائي بدوري إلى مكتب رئيس الدورية حيث أطلق سراحي، إذ صرّح هذا الأخير ان امرأة تقدمت للسؤال عنّي، وقد دفعت الكفالة المالية اللازمة،

---

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ص148.

[2]- المصدر نفصه ص148.

[3]- المصدر نفسه ص148.

[4]- المصدر نفسه ، ص195.

وحين سألت عن هويتها عرفت أنها لورا آه... عزيزتي لورا، لم تتخلي عنّي حتى في أحرج اللحظات وأقساها، مدين لك بحياتي، فلولاك عزيزتي، ربما لكانت الرحلة في عالم السجن أطول"[1]، وهذه آخر تضحية مقدمة من لورا إلى حبيبها الهادي الذي لم يكترث لأمرها يومًا، والتي رغم محاولاتها المتتالية من أجل إسعاده.

ج- الآخر العنصري:

يواجه المغترب في بلاد الغرب مشكل الاختلاف الجنسي والثقافي بسبب التمييز الذي يتعرض له من طرفهم، فهم يرونه مجرد شخص منبوذ متخلف من بلد مهمّش، حيث أنهم لا يتفهمون ظروف المهاجرين إذ يعتبرونهم عالة عليهم ولهذا السبب يعاني أغلب المهاجرين من مشاكل التمييز العنصري، وذلك عن طريق الاحتقار والتهميش والاعتداء... حيث يقول الهادي في رواية أعشاب القلب ليست سوداء: "وماذا يعني بالنسبة إليهم غريب قادم من بلاد العربي، العربي الذين كانوا دومًا في قاموس الأوروبيين مجرد همجيين، أو مجرد وحوش بشرية تستحق القتل أو التدجين"[2]. حيث يتحدث عن أهل لورا الذين لم يوافقوا على علاقته معها لأنه عربي مهاجر وليس انجليزي.

ويقول أيضًا: "فجاءت صرخة إحدى المدعوات، وهي سيدة في الستين تقريبًا Oh Algeria were is located... I think it was just a desert?"[3]

إذ يرد الهادي: "وبلباقة ملفوفة بغضب غير بارز للعيان، رحت بلا تردد أحدد لها موقع الجزائر الجغرافي... كما أؤكد لك أن الجزائر لسوء الحظ أم لحسنه ليست بكاملها صحراء وإنما الصحراء ممتدة في جنوبها فقط، وفي هذا الجنوب بشر مثلك ومثلكم جميعًا، وربما أحسن منكم، كرماء،

---

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ص205.

[2]- المصدر نفسه ص174.

[3]- المصدر نفسه، ص174.

طيبون... وتأكدي من شيء سيدتي، هو أن الصحراء لم تكن عيبًا من عيوب الجزائر، بل هي مفخرة واعتزاز كبيرين لها"[1]. حيث تحاول هذه المرأة العجوز التقليل من شأن الجزائر واحتقارها. على قولها إنها مجرد صحراء فيرد عليها الهادي بشرح موقعها الجغرافي، ووصفه لها. ونلاحظ من خلال كلمات المرة وطريقة تحدثها هناك نبرة العنصرية.

يظل المجتمع الغربي ينظر إلى الإنسان العربي أو الإفريقي ككل بنظرة الدونية والاشمئزاز، حيث لا يريد تقبله في أرضه. بل ويرى الغربيون أن المهاجر العربي إنسان خطير مخيف مزعج. فيروي الهادي حاثة في يوم من الأيام فيقول: "أذكر أنّ في أحد المرات ... التقيت طفلًا صغيرًا يقف عند زجاج أحد المحلات، طفل لا يزيد عمره عن أربعة سنوات كان واقفًا لوحده، بينما ولجت أمه داخل المحل لشراء حاجة ما. وبعفوية وحنان لم أقدر منعه، رحت أداعبه... لكنه انزعج وانفجر بالصراخ من حيث لم أكن انتظر: Oh! Mum. وخرجت أمه للتو مذعورة، رفعتها بين دراعيها بسرعة وخوف شديدين. ضمّته إلى صدرها كأنما لتحميه منّي، وقذفتني بنظراتها كأن فيها كل احتقار وازدراء العالم وصرخت في وجهي What's the matter with you? Are you crazy?"[2].

رغم خوف الأم على ابنها إلّا أن ردة فعلها كانت مبالغ فيها، لأنها عرفت من هيئة "الهادي" أنه مغترب وليس ابن المدينة، محاولة تخليص ابنها منها وابعاده عنه، وهذا دليل على عدم ارتياح الإنجليزيين للمستوطنين هناك وكرههم لهم، حيث يرونهم كائنات حيوانية جشعة.

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء، ص174.

[2]- المصدر نفسه ، ص121.

د- الأخر العنيف:

لقت اتسعت ظاهرة العنف، حيث شهد مسرح الأحداث الدولية العديد من النشاطات الإرهابية، فالإرهاب صاعد صور العنف أصبح الهاجس الذي تعيشه الجزائر خلال العشرية السوداء، حيث أصبح جزءًا من حيات الناس اليومية، ولا يكاد يمر اليوم دون وقوع عملية إرهابية في منطقة ما في أحد أرجاء البلد، وممّا ورد في الرواية التي بين أيدينا عن الإرهاب ومخلّفات العمليات التي قاموا بها لتمدير المباني والشوارع: "تم العثور على جماعة إرهابية في أحد الأحياء بقلب العاصمة... تؤكد المعلومات الأولى بأن هذه الجماعة جدّ خطيرة،، وهي مكونة من عدّة أفراد... وتعتمد في نشاطها المركز في أنحاء العاصمة على أسلحة متطورة، وهي مدربة بشكل جيد وخطير"[1]. تتوزع الجماعات الإرهابية في أماكن مختلفة من الوطن، بمختلف الأسلحة الخطيرة المنوعة.

يروي الهادي عن هذه الجماعات خلال الصراع: "كنّا قد منحنا فرصة لهؤلاء بتسليم أنفسهم... إلّا أنهم أصرّوا على المقاومة حتى الضرر الأخير، وواضح أنهم كانوا مستعدّين أيضًا لإبادة أي شيء يتنفس. ويتحرك تحت ناظريهم"[2]عدم استسلام الإرهاب في هذا الصراع، فهو مستمر في هذا التشابك، مصرًّا على الفوز طامحًا لتدمير ل ما كان في طريقه للوصول إلى مبتغاه تواصل الجماعات الإرهابية في صراعها ضد السلطات المحلية، بل وتتضاعف قواها أحيانًا، "لكن الجماعة الإرهابية ظلّت تتربص بنا من الداخل، وتطلق النار علينا مرة أخرى بشكل مكثّف، لقد قرر هؤلاء المقامة حتّى الموت الأخير"[3]إذ يتساءل الهادي بخصوص هؤلاء (الإرهاب): "من أيمن لهم كل هذه الكمية من الحقد والكراهية؟ ولماذا كان علينا أن نقتل بعضنا البعض؟ كي

---

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء، ص85.

[2]- المصدر نفسه ص86.

[3]- المصدر نفسه ص88.

تحوّلنا إلى أعداء؟"[1]، يتحسّر الهادي من خلال هذه الأسئلة. وكل هذا دليل على حقد وضعف والكره الكبير الذي تكنه الجماعات الإرهابية للمواطنين والسلطات الأمنية.

ومن بين أفراد الإرهاب يوجد صديق الهادي الذي التحق بهم في وقت سابق، وراح ضحية أعمال الجماعات الإرهابية، قُتل في ذلك الصرّاع فيقول بطل الرواية بكل حسرة وتأنيب ضمير: "يومها ووسط تلك البشاعة، عند أحد زوايا الغرف، كان منظر شاب في مقتبل العمر، يثير الشفقة، شاب يبدوا أنه لم يشارك إطلاقًا في العملية، واختار أن ينتظر موته وهو جالس القرفصاء، فاتحًا أمامه مصحف، (محتميًا به)، وقد اخترق الرصاص من كل جانب... عندما رُفع رأسه المتدلي، أصبت بأزمة حقيقية... هذا الميت المقتول أمامي بيدي، عيوني، تحت مشاركتي، هو عبد النور"[2]، عبد النور هو أحد أعضاء المنظمة الإرهابية، مات في هذا النزاع على يد صديقه الهادي ومنه يتمثّل الآخر العنيف في الجماعات الإرهابية التي كانت تسعى بدورها إلى تدمير وتهديم مختلف المؤسسات الوطنية وانتهاك حقوق الآخر المواطن.

هـ- الآخر العربي:

يضطر الإنسان العربي أحيانًا إلى الهروب من واقع بلده المرير، إذ يلجأ إلى هجرته والتغرب عنه. فأصبح العرب يتقاسمون في مواطن غير مواطنهم كل أنواع الحزن، حيث يتشاركون آهاتهم، فكلٌّ هاجر رَغمًا عنه، كل هارب من تضاريس أرضه الروحية القاسية، باحثًا عن هوية بديلة لهويته العربية، ربما تنسيه ماضيه الأليم، وتغير من فكره، وتمنحه أسلوب حيات مغاير، يقول الهادي: "كل واحد منَّا قدم إلى هنا بعد أن لفظته أوطانه، متأبّطًا أوجاعه، حالمًا بالحصول على حق الإقامة الرسمية، ووضعية مالية مناسبة تقيه بؤس أوطانه"[3]. الهادي وخلال مكوثه في المدينة

---

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ،ص89.

[2]- المصدر نفسه ص90.

[3]- المصدر نفسه ص124.

الضبابية تعرّف على مجموعة من المهاجرين العرب من مختلف الجنسيات حيث يقول: "ها إني أرقب لندن من خلال زجاج المطعم الذي أعمل فيه كنادل منذ عدّة شهور رفقة أشقاء عرب، مغاربة، تونسيين، عراقيين وسوريين"[1]. ويقول أيضًا: "رحت أنعطف إلى مقهى العرب، رفقة عمي سي أمحند، حيث كان الأصدقاء العرب في انتظارنا كعادتهم، جلسنا جماعات نختلس النظر لبعضنا البعض... ثم حين نصمت تهاجمنا أحزاننا المشتركة... فنتحدّث تارة عن أحوالنا في بلاد الغربة، لا أذكر إطلاقًا أنها فارقت أي واحد منَّا"[2]، يتبادلون أوجاعهم، كل واحد منهم يروي قصّته البائسة في غربته، يتوالون في الكلام عن مواطنهم وقد التقى في غربته تلك برجل جزائري يُدعى "سي أمحند" فيقول الهادي: "والتقيت بالحاج سي أمحند المدير المشرف على إدارة المطعم، وهو من أصل جزائري... طيب القلب كأب حقيقي..."[3] رجل في سن كبيرة، أصبح مستسلم لحياته هناك يواسي كل مغترب، يعاملهم بحنان، ساعدهم دائمًا على تجاوز محنتهم"، الحنان الأبوي المتدفق من حضوره... كان بدوره يعرف كيف يتسلل إلى دواخلنا، أحزاننا، أوجاعنا... كأب حقيقي"[4].

المطعم الذي يشتغل به الهادي هو ملك لأحد أثريات فلسطين اسمه "أبو شاذي" تعرّف الهادي في يوم من الأيام حيث أصبحا يتشاركان أوجاع الغرب، والأهوال التي تركتها موطنهم في قلوبهم، إذ جاء على لسان الهادي في الرواية: "المطعم هو ملك لأحد أثرياء فلسطين"[5]، ويقول واصفًا أبو شاذي في كيفية تعرّفه عليه: "تعرّفت عليه بسهولة، لأنه كان عربيًا مثلي... هو الثري المحاط

---

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ص122.

[2]- المصدر نفسه ص120.

[3]- المصدر نفسه ص126.

[4]- المصدر نفسه ص127.

[5]- المصدر نفسه ، ص124

بالأصدقاء... محاط بزينة الحياة الدنيا، الزوجات الأربع، الموزعات عبر أربع بلدان عربية والبنون والبنات"[1].

أبو شاذي رجل فلسطيني ومن أغنى الرجال الشرقيين هناك، يملك كل ملذات الحياة، لكن تبقى الغربة والشعور بالذنب يلاحقه مهما ما ملك وأي ما حلّ. فيقول الهادي عن هذا: "في الحقيقة كان أبو شاذي في تلك الأثناء مصابًا بأزمة ضمير حادّة"[2]كان لدى الهادي في بنايته جارة تونسية، امرأة خيّرة، طيبة، حنونة القلب، تطمئن عنه باستمرار، تحبه وتحاول دائمًا إعانته، يقول: أقفل الهاتف أنفصل عن الجميع. وحدها تظل خالتي فطايمة ملتصقة ببابي تسأل عني وتتوسلني أن أفتح الباب"[3].

ويقول أيضًا: "أسمع طرقًا آخر... آه... إنها خالتي فطايمة، هذه المرة تدق باب شقتي وتتوسلني، ايعيش وليدي حل الباب، ولا أستجيب... حين فتحت الباب قابلتني خالتي فطايمة كعادتها بطلتها الطيبة، صارخة واشك يا بني... لق أثارها المسكينة منظري ذاك... لقد كان لخالتي فطايمة بعض ملامح أمّي... لكن خالتي فطايمة أيقظتني بكلامها وابتسامتها، وبين يديها كانت تحمل أكلة جزائرية، معجونة بالتمر (البراج) ... لكنها رفعت رأسي عاليًا، وأضافت بلهجة تونسية حلوة. أيعيش وليدي، هز راسك..."[4] تشبه هذه الخالة أم الهادي في ملامحها وفي طيبتها، في حبها الكبير الذي تكنّه للهادي، في محاولتها دائمًا مساندته تعمل ما بوسعها لتخفف عنه، وتطيب خاطره.

---

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ص 135-136.

[2]- المصدر نفسه ص139.

[3]- المصدر نفسه ص186.

[4]- المصدر نفسه ص 110-111-112.

و- الآخر الجزائري:

لم يكن الهادي المنبوذ الوحيد في المدينة الضبابية، لم يكن الجزائري الوحيد المغترب الذي واجه آلامه ومآسيه هناك، أشياء تجواله في شوارع لندن ومحاولته التعرف على أزقّتها واكتشاف أماكنها تعرف على رجل جزائري، سيّد طيب الخاطر، واسع البال، صديق الكل وأبًا لهم يضمد جراح الجزائريين في تلك الغيمة الباردة يُدعى سي أمحند إذ يقول الهادي: "والتقيت بالحاج سي أمحند المدير المشرف على إدارة المطعم وهو من أصل جزائري، يقترب من الستين، لكن يبدو أقل، طيّب القلب كأب حقيقي، يضرب على كفيه بعصبية حين يتذكر الوطن (البلاد)... كان عمّي سي أمحند يعشق أغاني التلجة وزليخة... كان يلاحقني من مكان إلى آخر، مرّ بنا على كتفي كصاحب قديم، داعيًا إياي إلى فنجان قهوة، في (مقهى العرب)"[1].

سي أمحند يشتاق كثيرًا إلى رائحة وطنه، حيث لا يكفّ عن السؤال على أحواله حيث يقول الهادي: "وقبل أن يصل فنجان القهوة تتهاطل علي أسئلته اللامتناهية عن أحوال البلاد... ويسترسل في ذكرياته عن الوطن، يحكي عن مسق رأسه... ببلاد القبائل... يروح يتحدّث عن جمال المنطقة الخلاب... يحكي عمي سي أمحند أيضًا عن ليالي الأعراس... ولا ينسى ذكرياته وهو مجاهد أثناء انعقاد مؤتمر الصومام"[2]. لم تتمكن الغربة من منع سي أمحند تذكر تفاصيل حياته الجميلة في وطنه الأم، حيث يتذكر كل تلك التفاصيل بحنين وشوق.

الغربة تعلّم صاحبها الصبر، وتزرق في نفسه قوّة التحمل والقدرة على مواجهة الواقع المؤلم، وتقبل الحقيق، وسي أمحند خير دليل غلى ذلك، حيث أصبح مؤنس كل مهاجر في تلك المدينة الموحشة كان ملجأ أحزانهم ومآسيهم، محاولًا دائمًا أن يربّت عليهم لإزاحة الهموم التي تسكنهم، كان خليلهم وأباهم. إذ يقول بطل الرواية في هذا السياق: "كان بارعًا في عملية الاستدراج، ربّما

---

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء، ص126.

[2]- المصدر نفسه ص126-127

لأنه كان لا يزال محتفظًا في بلاد الغربة بذلك السحر الذي اسمه الحنان الأبوي... وكان هو بدوره يعرف كيف يتسلل إلى دواخلنا، أحزاننا، أوجاعنا، كأب حقيقي"[1]. إذ يقول عمي سي أمحند مواسيًا الهادي في غربته: "الحمد لله أنت طويل العمر يا بني ... المسألة مسألة وقت فقط، وستعتاد على هذه الغربة"[2]في ذلك الاختلاف الثقافي والاجتماعي، في تلك الغربة الموحشة بين أناس لا يشبهون أولاد بلاده، ورغم الشعور بالاغتراب والحنين إلى أرضه إلّا أنه كان يتحدّى غربته ويواجه أساه بوجه ضاحك وملامح هادئة وكلمات إيجابية تُبهج متلقيها حيث يتساءل الهادي قائلًا: "إيه ... يا عم سي أمحند يا وليد بلادي، كيف استطعت أن تبتلع هذا الكم من الغربة، واستطعت أن تحصّن حياتك ضد هذه العفونة، وأن تبرمج حياتك وفق توقيت الوطن... تعمل في الصباح بجد، تذهب إلى المسجد بإيمان، وعندما يحل المساء تعود إلى عائلتك الصغيرة في سكينة القطط اللامبالية، ولا تشكوا أبدًا"[3]. نرى أن سي أمحند استسلم إلى واقعه في تلك البلدية، ويقول الهادي أيضًا عن سي أمحند: "تجمّعنا حولك في المقهى، تنصت إلى أحزاننا كأن لا أحزان لديك"[4]. متناسيًا أحزانه، مرممّا لأحزان غيره، مضمدًا جراحهم.

ن- الآخر الفلسطيني:

تتعدد جنسيات المهاجرين العرب في بلاد الغرب، إذ أنهم لم يستطيعوا تحمّل كل ما يحدث في بلادهم فيلجؤون إلى الهجرة، والابتعاد عن أرض الوطن لتناسي جروحهم والهروب من حقيقة وطنهم الحتمية، ومحاولة تغيير نمط حياتهم وتجديد أحلامهم وخلق حياة جديدة لهم.

وفي مدينة الضباب تلك (لندن) يتعرّف الهادي بطل روايتنا على فئة من الرجال مختلفة الجنسيات خلاف عرب حيث يقول: "ها إني أرقب لندن يوميًا من خلال زجاج المطعم الذي أعمل

---

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ص127.

[2]- المصدر نفسه ص127.

[3]- المصدر نفسه ، ص178.

[4]- المصدر نفسه ص178.

فيه كنادل منذ عدّة شهور رفقة أشقاء عرب، مغاربة، تونسيين، عراقيين وسوريين"[1]. لم يكن العربي الوحيد في تلك الغربة.

في صقيع الغربة، أصبح هؤلاء العرب أشقاء مساندين بعضهم البعض، يتبادلون همومهم ويتشاركون آهاتهم وفي إحدى الليالي عُرض عمل على الهادي من طرف أحد أصدقائه في مطعم، يعود هذا المطعم إلى رجل فلسطيني غني، يُدعى "أبو شاذي" وهو أحد أثرياء فلسطين قدم إلى لندن منذ عدّة سنين ومكث بها، حيث أصبح من أغنى الرجال العرب هناك، يقول الهادي: "المطعم هو ملك لأح الأثرياء الفلسطينيين، والذي قدم إلى لندن منذ اتفاقيات غزّة وأريحا، وخلال فترة وجيزة جمع ثروة هائلة...، المطعم هو جزء من سلسلة المطاعم الشرقية في لندن والتي تستقطب عددًا هائلًا من الأجانب من مختلف الجنسيات"[2]. أبو شاذي والذي اضطرته ظروف بلاده المزرية والحروب التي تتعرض لها أصبح من أثرى الرجال في بلاد الغرب حيث يمتلك أشهر المطاعم الشرقية في لندن، مطعم يضم كل فئات الناس الغربية والشرقية.

في أحد المرّات بينما الهادي يتجول في مكان يدعى Hyde park تعرف بالصدفة على أحد المارة بالصدفة كان في نفسه الفلسطيني ويهذي في نفسه الذي يعمل في مطعمه "أبو شاذي"، إذ يقول الهادي في هذا السياق ويصفه: "حتّى جاء اليوم الذي نهرني فيه أحد المارة... وقد تعرّفت إليه بسهولة، لأنه كان غريبًا مثلي، تقتله غربته، لكنه يقاومها ويرممها بهوية الأثرياء الثمينة، هواية جمع المال، والنساء، والقمار، وشرب الخمر حتّى الثمالة. هذا الغريب لم يكن سوى "أبو شاذي" الفلسطيني الثري، ذو الجنسية الإنجليزية، وصاحب العمل الذي أعمل به، بدين، ذو بشرة

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ص122.

[2]- المصدر نفسه، ص122.

سمراء، شره إلى المال، وثري إلى درجة الحسد"[1]. حسب وصف الهادي فإنه رجل يملأ فراغه بممارسة أشياء غير أخلاقية.

تساءل الهادي في نفسه قائلًا: "والتساؤل من أين له هذا؟ ... ما الذي كان يفعله في الهايد بارك Hyde park؟ ... هل كان يتسلل إلى هناك خلسة ليتحين فرصة للبوح، هو الثري المحا بالأصدقاء، العشيقات، محاط بزينة الحياة الدنيا؟"[2]. حيث ظل التساؤل حول حياة أبو شاذي، وسبب ذهابه إلى Hyde park وجهة كل حزين يشترك الفلسطيني وبطل رواية أعشاب القلب ليست سوداء ففي آلامهم وغربتهم، مشاعرهم وأحاسيسهم متشابهة رغم اختلاف حياتهما، حيث راح الفلسطيني يكلم الهادي قائلًا: "يا أخي ما هذا الذي تفعله هنا، نحن العرب ننحدر من أقوام تخجل البوح بجراحها وآلامها وتفخر إذ تتألم في صمت... نحن الغرباء يا أخي من الأفضل أن نكتم جراحنا، ونمنحها لليل وللوقت... وأرق أبو شاذي يومها: الرجل العربي يا أخي قد يتخلّى عن أرضه لكنه أبدًا لا يتخلّى عن حقيقته الداخلية، عن خصوصيته"[3]يتكلّم أبو شاذي عن قدرة الرجل العربي على الصمود ومواجهة الواقع بكل أحواله رغم البؤس الذي يقطنه، حيث يشير أن العربي يبقى غريبًا في بلاد غيره حتّى لو كان من أغنى رجال العالم كان يبدوا هذا الرجل الغني سعيدًا، مستمتعًا بالحياة وكأنه لا يحمل همّا ولا ضعفًا، إلّا أنه كان وتحتويه كل آلام بلاده، يحمل كل هموم الدنيا في صمت قاهر، يضم داخله كل حروب وطنه، حيث لا يفارقه التفكير في وطنه البتة، يقول الهادي: "أبو شاذي فاجأته ذات ليلة، داخل ملهى ليلي بعد أن لعب وسهر... وقد خلع قميصه ورفع عاليًا كراية بيضاء بيد، ورفع زجاجة نبيذ بيد أخرى، ثم دخل في مرثية طويلة عن الوطن... كأنه رئيس أمة فاشل متهم بخيانة الأرض والشعب... ويحدث صوتًا بل نشيجا ممزوجًا بالدموع و بموالي فلسطيني... ها هو يتمايل حتّى يكاد يسقط على الأرض...

---

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ص135.

[2]- المصدر نفسه، ص135-136.

[3]- المصدر نفسه ص136-137.

يرقص، يرقص بجنون ثم بكي"[1]، يلتقي الهادي بأبو شادي مرّة أخرى في إحدى الليالي في ملهى ليلي، وقد تفاجئ من الحال الذي وجده بها، حيث رآه يلوم نفسه على طريقة أفعاله، ويعبر عن وجعه من خلالها. إذ يذكر فلسطين كأنه هو المخطئ في كل الخراب الذي يحل بها ثم يواصل الهادي كلامه قائلًا: "في الحقيقة كان أبو شاذي في تلك الأثناء مصاب بأزمة ضمير حادّة، بكى بعدها بشدة كولد صغير يفقد للتو والديه أمام ناظريه"[2]. يُعاني من أزمة ضمير حيث يلوم نفسه بشدّة باستمرار، يبكي بحرقة، كأنه طفل صغير أصبح مُيتمًا، فكل أملاكه والمال الذي بحوزته لم يستطع تناسي عذابه الداخلي، لم يتمكن من تجاوز محنته.

إنّ ما يمكن استخلاصه من هذه المعاناة التي يعيشها أبو شاذي أنّ بالأموال والملذات والشهوات لا يمكنها أبدًا تعويض فقدان الهوية والأمن الداخلي، خاصّة في هذه الفضاءات المخيفة، التي تبيّن للمهاجر الاختلافات والفوارق المؤدية إلى تذكيره بهويته الحقيقية بشكل غير مباشر. فإن الأرض الأصلية هي التي تمنح الأمان الروحي الذي يحمي الفرد من تشققات الكينونة.

يتحسّر الهادي على حال هذا الرجل، حيث يقول مشفقًا عليه: "ياه... هذا الثري الفلسطيني ليس سوى كائن مسكين، بائس. يثير الشفقة، لأنه مهما تضخّمت أمواله لن يستطيع أن يشتري ونًا، ولن يستطيع أن يشتري كرامة"[3].

بعد كل هذا قرر الهادي مساعدة أبو شاذي على تجاوز محنته، وتأنيب الذات، والتخلص من وحدته والابتعاد عن كآبته.

---

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء، ص138-139.

[2]- المصدر نفسه، ص139.

[3]- المصدر نفسه ص40.

خلاصة القول:

الغربة تظل غربة، والشعور بالاغتراب لن يفارقك ما دمت لست في موطنك الأصلي، فمهما صادفت من يفهمك، ويتفقد جرحك العميق، من يشاركك أدق تفاصيل الحزن التي تسكن روحك، فستبقى غريبًا تائهًا في مون غير موطنك، وأصدقاء غير أصدائك وستظل رائحة أرضك وذكرياتك تلاحقك أينما حللت، فما دمت تحمل همًّا وتأنيب الذات، فالإحساس بالوحدة والحنين إلى وطنك مزامنك إلى أجل ما.

رابعا: هوية الفضاء:

يعتبر الفضاء من أهم العناصر المكونة للعمل الأدبي، حيث اعتمد عليه أغلب النقاد الروائيون المعاصرون وذلك لاعتباره بؤرة واسعة حاوية لمجموع الأمكنة التي حصلت فيها الأحداث والمشكلة لحركة الشخصيات بحيث يكسبها الحيوية بمرافقة أحداثها واعتباره عنصرًا فنيًا وجماليًا تتحرك فيه أحدا الرواية.

أ-مفهوم الفضاء:

يرى ابن منظور أن أصل الكلمة هو المكان الواسع في الأرض، والفعل فضا يفضو، فضوًا فهو فاضي... وقد فضا المكان وأفضى إذا اتّسع، وأفضى فلان أي وصل إليه وأصله أنه صار في فرجته وفضائه وحيه والفضاء الخالي في الشارع الواسع من الأرض.... وهو الساحة واتسع من الأرض.. جمع أفضية[1]، فهو يعتبر المكان الذي تقع عليه وفيه الأحداث.

الفضاء يصور المشاهد والأحداث في مختلف أنحاء المعمورة من أماكن ونطاقات جغرافية محلية وخارجية... "إنه يخترق حياة الإنسان ويحس بكينونته أينما ولّى وجهته وارتحل، إنه يعيش

[1]- منصورية بن عبد الله ثالث، تجليات الفضاء وأبعاده في رواية مزاج مراهقة لفضيلة الفاروق، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 10، عدد2، السنة 2021. ص88.

فيه ومعه ولا شيء في هذا الكون منفصل عنه ومتحوّل من رقبته ولا وجود لأي كائن دون الفضاء يحوله ويلغيه، بل ليس هناك حياة أصلًا دون فضاء"[1] فهو يعتبر خلفية الأشياء حيث يعيش الفرد ولا يمكن فصله عن حياته التي ينطلق منها ويعود إليه بحيث يحتويه ويعتبر جزأ لا يتجزأ منه، وهو بدوره ينقسم إلى قسمين، الفضاء الداخلي والفضاء الخارجي والفضاء المغلق والفضاء المفتوح والفضاء الأليف والفضاء المخيف.

ب- الفضاء الداخلي:

احتل الفضاء مكانًا هامًا في بنية الرواية بحيث اعتبر الوعاء الذي يحتوي الحدث الروائي وتتحرك فيه الشخصيات متخذًا أشكالًا متضمنًا معانٍ ودلالات وأبعاد عديدة

و يتمثل في الشوارع والمدن والديار والطرقات التي تجري عليها الأحداث الواقعة داخل الوطن، وهذا ما نجده في رواية "أعشاب القلب ليست سوداء" على لسان الهادي في قوله: "أشهد دمار الشوارع والمدن والقرى والمداشر، وجدتني أشهد دمار الوطن"[2] وهذا الفضاء يدل على حركات بطل الرواية وكل شخصياتها داخل الوطن وينقسم الفضاء الداخلي أيضًا إلى فضاء مغلق وفضاء مفتوح.

-الفضاء المغلق:

ويتمثل الفضاء المغلق في الديار والمقاهي والمباني والمسرح... وغيرها ويقول بل الرواية الهادي: "في كل مبنى في كل بيت في كل أحد"[3] ويتمثل هذا الفضاء بالحيز أو الحاجز الذي

[1]- المرجع نفسه ص881.

[2]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء، ص31.

[3]- االمصدر نفسه ص31.

يمنع من التواصل مع العالم الخارجي. وهذا الفضاء بدوره يتمثل في قسمين الفضاء الأليف والفضاء المخيف.

الفضاء الأليف والذي يتمثل في الأماكن التي ترتاح فيها والتي تدخل الفرح والسرور على شخصيات الرواية مثل البيت والمقهى والمسرح وغيرها من الأماكن ولذلك يقول الهادي: "وأنا نائم تدلف علي سطل من الماء البارد، فأتوسلها أن تمهلني قليلًا فتستجيب لتوسلاتي، لكنها كلما انشغلت عني بأعمال البيت اللامتناهية كنت أغط في النوم مرّة أخرى، أتمطى في فراشي"[1]. حيث يمّل الملجأ والحماية التي يأوي إليها الإنسان في إيجاد راحته.

كما يعتبر المسرح أيضًا من الأفضية المغلقة والأليفة والذي ذكره الهادي في الرواية بقوله: "المسرح يعبر بالجسد، بالكلمة، بالقلب عن حقيقة هذا العالم البائس وواقعه"[2]. فهو من الأفضية التي يلجأ إليها الإنسان للترفيه عن نفسه بحيث يدخل الفرح والسرور في قلوب المشاهدين كما أنّه ينقل إليهم أحداث واقعهم لكي يبعث الأمل والطموح لشخصيات الرواية.

أمّا الفضاء المخيف فهو يدل على الظلم والسلب والقتل والذي يتمثل في السنج والمباني وذلك من خلال المناوشات التي حدثت والتي صوّرتها الكاتبة بكل أحداثها داخل الوطن، والتي تمثلت في ذلك الصراع بين الشعب والسلطة والإرهاب وهذا ما جاء على لسان الهادي: "نجح المتظاهرون في تدمير المدخل الرئيسي للوزارة، تحطيم كل المكاتب الواقعة أسف المبنى، وإحراق ملفّاتها"[3]، وهو يدل على خلق الخوف في نفوس المواطنين ويقول أيضًا: "أننا جميعًا موجودون داخل غرفة معتمة، محكمة الغلق، ننتظر أحدًا ما يأتي ليفتح لنا الباب، ولكن هذا القادم لا يأتي، وكلّما حاولنا وحدنا جاهدين إيجاد باب الخلاص، نكتشف عبثًا أن الباب الذي عثرنا عليه لم يكن بابًا حقيقيًا

---

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ص30.

[2]- المصدر نفسه ص55.

[3]- المصدر نفسه ، ص36.

وإنما مجرد باب وهمي، وأكثر من هذا نكتشف أنّ كل تلك الأبواب التي عثرنا عليها ليست سوى أبواب تفضي إلى أبواب أخرى موصدة... وأحيانًا أخرى نخترع أحاديث نتسلّى بها، أحاديث تنسينا انتظارنا، تنسينا عتمتنا، تنسينا الأبواب المغلقة من حولنا... ونركض من شدّة الهلع في تلك الغرفة ويرتم بعضنا البعض ببعضه الآخر مرة، ومرة أخرى نرتطم بالجدران فيموت منّا من يموت"[1]. وهذا فضاء مخيف ومظلم يدل على السجن والتعذيب.

-الفضاء المفتوح:

ويقصد به اللامحدودية، يتّسم بالحركة والاستقلالية، يوحي بالحرية والانطلاقية[2]، فهو فضاء بدون حواجز لا تحدّه حدود ضيّقة فهو فضاء واسع وشاسع وغالبًا ما يكون لوحة طبيعية للهواء الطلق، ونجده في الشوارع، القرى (الريف) البحر، الأحياء...إلخ، وقد تجسّد هذا الفضاء أيضًا في رواية أعشاب القلب ليست سوداء وذلك في قول الهادي: "خلف سياج المكان الأخضر الشاسع، نحكه بصيحاتنا، ويبدأ كل واحد منّا حسب مهارته في تسلق الأشجار الخضراء السابقة المترامية هنا وهناك، أشجار الليمون، الرمان، الكروم... لقطف كميات معتبرة من ثمارها كي نبيعها في سوق الجمعة... نتوغّل بين الأحراش والأعشاب نلم بعض حشرات صغيرة كالنمل والنحل"[3]، وهذا فضاء الريف حيث يدل على الرحابة والسعة وانشراح الصدر وهو فضاء ألين حيث يترك في نفسية الشخصيات وحتّى القراء لهذه الرواية شرح الصدر والأمل والسرور.

كما تمثل هذه الأفضية المفتوحة (الشوارع الأزقة...) أماكن انتقال ومرور نموذجية بشكل مباشر إذ تمثل مسرحًا لتنتقل شخصيات الرواية من مكان إلى آخر وسرد الأحداث الواقعة فيها وذلك في قول الهادي: "وأثناء تجوالي في أحد الأزقة الشعبية الضيقة جدًا، الأزقة التي تفوح منها

---

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء، ص48، 49.

[2]- منصورية بن عبدالله ثالث، تجليات الفضاء وأبعاده في رواية مزاج مراهقة، مرجع سبق ذكره، ص882.

[3]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء، ص21.

رائحة الناس البسطاء، رائحة عرقهم... رائحة أحلامهم القديمة البائسة"[1]، فبعض الأفضية أو الرموز المكانية تدل على الشعور بالأسى والحزن وذلك لنظرة الهادي إلى تلك الأزقة والشعور بالحزن عليها، وهذا من الأفضية المخيفة فيقول أيضًا: "الآن أروقة المبنى أذكر يومها، كانت مفتوحة لمعرض خاص بالفن التشكيلي لأحد الرسامين، مزيج من الجمال والألوان الهادئة"[2] ويتمثل هذا الفضاء الواسع في انبعاث الأمل ويدل على الراحة والأمل في شخصيات الرواية.

ومنه فالمكان يكتسب وجوده من خلال أبعاده الوظيفية والهندسية حيث يكون الفضاء المفتوح يأخذ مساحة لا محدودة أم الفضاء المغلق فيعبّر من خلاله عن الانعزال والضغط والراحة في بعض الأحيان (البيت أو المنزل).

ج –الفضاء الخارجي:

يعتبر الفضاء من أهم المصطلحات التي اختم بها دارسو السرد المعاصر حيث يمثل الحركية الشخصية والأحداث التي تجري في الرواية، وفي رواية أعشاب القلب ليست سوداء نجد المهاجر "الهادي" الذي غادر الوطن الأم إلى لندن وذلك للبحث عن الاستقرار وانفصاله عن بلاده التي قضى فيها طفولته والتي أجبرته على الرحيل إلى مدينة الضباب وذلك بعد احتدام الصراعات الأهلية وتنافر الإيديولوجيات المتصارعة في السلطة ومقتل الكثير من أقربائه وصديقه عبد النور.

ويتمثل الفضاء الخارجي في مدينة "لندن" وينقسم هذا الفضاء إلى قسمين فضاء مفتوح وفضاء مغلق.

[1]– نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ، ص34.

[2]– المصدر نفسه، ص37.

-الفضاء المفتوح:

ويتمثّل هذا الفضاء في مجموع الأفضية المفتوحة التي لا تحّها حدود والتي تتمثل في الشوارع والبحر والقرية، الأحياء... وغيرها

ويعد فضاء الشارع من الأماكن الانتقالية العامة التي تشهد حركة الشخصيات وهذا ما نجده في شخصية الهادي وهو يعبر ويصف شوارع لندن إذ يقول: "يوميًا أراقب لندن تحت المطر، الشوارع باردة، خاوية البنايات الرخامية صامتة كأنها قبور يقف عند مدخلها بواب أو اثنين، في استقامة مقرفة وابتسامة مصطنعة، الناس من حولي كأنها تماثيل متناثرة في الشوارع"[1]حيث أن هذا الفضاء يبعث في نفسية الهادي الراحة والانتعاش والترفيه بمراقبة تلك الشوارع الهادئة.

كما تعتبر بعض الأفضية المفتوحة التي تترك وتثير انبعاثات الراحة في شخصيات الرواية حيث يقول الهادي: "أحيانًا أجلس شاردًا لساعات، أراقب البط في حركاته المتكاسلة داخل البحيرات الهادئة، أغلق التلفون أنفصل عن الجميع، وأبكي من الداخل... أبكي"[2]. وهذه الأفضية الهادئة التي يلجأ إليها الهادي لتفريغ الأحزان والمكبوتات التي بداخله ويبكي على وطنه الأم والأحداث التي تحدث قيه فالبحر يدل على الراحة النفسية وهو فضاء مفتوح يبعث في النفس الراحة والهدوء وعدم الإزعاج.

كما يقول الهادي أيضًا: "وأثناء تجوالي في أزقة لندن الباردة، التقيت طفلًا يقف عند زجاج أحد المحلات طفل لا يزيد عمره أربعة سنوات، كان واقفًا... لوحده، رحت أداعبة واضعًا سبابتي على طرف أنفه"[3]. ومنه فالشارع فضاء حيوي يجعل الأفراد تندمج مع بعضها.

---

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء، ص117.

[2]- نفس المصدر ص167.

[3]- نفس المصدر ص221.

-الفضاء المغلق:

وهو مجموع الأمكنة التي تحدّها حدود ضيّقة كالمسرح ،البيت ،الغرفة والحانات ... وغيرها ولعل هذه الأمكنة قد وردت في رواية نعيمة معمري وذلك لقول الهادي: "كنت لا أزال أذهب إلى المسرح أجلس وحدي في العتمة أفتح روحي لعاصفة الذكريات، أدعها تقتحمني، تحتلّني، توجّهني، توجفني، وكان ينتابني دائمًا شعور بأن زينو لا يزال يقف على خشبة هذا المسرح، وفي مكان ما داخل تلك العتمة"[1] حيث يعتبر فضاء المسرح من الأفضية التي يلجأ إلي إليها الأشخاص للترفيه لكن الهادي لم يشعر بالترفيه إنّما بالشعور بالأسى والحزن على صديقه ويعتبر فضاء المقهى ضمن الأفضية المغلقة أيضًا حيث يقول الهادي: "نهاية ذلك اليوم رحت أنعطف إلى مقهى العرب، رفقة عمّي سي أمحند، حيث كان الأصدقاء العرب في انتظارنا كعادتهم، جلسنا جماعات، نختلس النظر لبعضنا البعض، نحتسي كميّات كبيرة من القهوة والشاي، ندخّن نشرب النارجيلة، نلعب الشطرنج"[2]. يعتبر المقهى فضاء جماعي رجالي في الأغلب ويُعد من أهم الأفضية التي تشغل حياة معظم أفراد المجتمع، ويُعتبر من الأماكن التي يُلجأ إليها للترفيه عن النفس، وهذا ما كان يفعله الهادي مع سي أمحند ويقول أيضًا: "وتارة أخرى نتحدّث عن أخبار أوطاننا بمرارة" ففي الغالب أيضًا يتحدّثون ويشاهدون الأخبار المعلقة بالمجتمع والسياسة وتارة أخرى في تجاذب أطراف الحديث في الأخبار المتعلّقة بالوطن.

- فضاء البيت (الشقة):

فهو من الأفضية المغلقة الزي جاءت بالرواية، حيث يقول الهادي: "أجهش بالبكاء، في حين تظل خالتي فطايمة تطرق باب شقّتي، تؤنبني بلهجتها التونسية الحلوة: يعيش ولدي ...

---

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ، ص117.

[2]-المصدر نفسه ص170.

حل الباب. تبغي نجيبلك شي؟"[1] فالهادي يعتبر بيته هو الملجأ الوحيد بعد كل الصخب الموجود خارجه وحيث يحفظ ذكرياته، وذلك في قوله: ",انزل مهرولا إلى مكتب البريد محذرًا خالتي فطايمة من ترتيب البيت. أريده كما هو بفوضويته..."[2] حيث يتضمن تفاصيل حياته وكينونته الخفية.

كما نجد أيضًا فضاء الغرفة التي تعتبر من أكثر الأشياء احتواءً للإنسان ويقول الهادي: "الغرفة جدّ مظلمة، النافدة محكمة الغلق، والأشياء من حولي تزداد فوضوية، جرائد ملقاة فوق السرير وعلى الأرض... زجاجات تبريد أُفرغت على آخرها، أعقاب سجائر هنا وهناك"[3]، تعتبر الغرفة من أكثر خصوصيات الإنسان حيث تعتبر الحرية الفردية للإنسان حيث ينفرد الهادي داخلها تاركًا كل الأشياء عوله كما هي، غارق في أحزانه مصاب بخيبته على وطنه لأنه لم يستطع الاندماج في ذلك المحيط أو المجتمع الذي ذهب إليه قسرًا فكانت غرفته هي الوحيدة التي تشاركه همومه بجدرانها وكل الأشياء فيها توحي إلى مدى اغترابه وحزنه وانكساره وعدم الانسجام في مدينة الضباب (لندن).

د- فضاء العنف:

ويتمثل هذا الفضاء في نقل الحركات التي تحدث داخل الرواية والذي يتمثل في المناوشات التي حدثت في الجزائر من قتل وعنف، ونهب...إلخ حيث قامت الكاتبة نعيمة معمري بذكر تلك الأحداث والفضاء الذي حدثت فيه وهذا ما جاء على لسان الهادي في قوله: "شارع عبد الرحمان طالب بالقصبة، كانت عملية احتجاج تطال الأسواق، المؤسسات، وتقريبًا كل المحلات التجارية، الشرطة تتدخل لتعرف جميع المتظاهرين.. يصرخون بصوت رجل واحد، يعبرون من شارع إلى

---

[1]- نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء ص184.

[2]-المصدر نفسه ص184..

[3]- المصدرنفسه ، ص197.

آخر يزرعون النار"[1]، وهذا فضاء الشارع وهو من الأفضية العنيفة حيث يدل على العنف في المجتمع والشعور بالحزن والأسى ومن الأفضية المغلفة العنيفة المذكورة في الرواية نجد أيضًا: "أنه تم العثور على جماعة إرهابية في أحد الأحياء بقلب العاصمة ومبدئيًا يُشتبه بأن تكون هذه الجماعة هي المسؤولة عن التفجيرات الأخيرة التي هزّت العاصمة"[2]، كما يدل هذا الفضاء على العنف والرعب في نفسية بطل الرواية "الهادي" وذلك لخوفه من جماعة الإرهاب.

وفي فضاء العنف نجد الفضاء المغلق أيضًا والذي يدل على الحجز والمنع والضغط داخل المحيط الذي تجري فيه الأحداث في الرواية وذلك لقول الهادي: "ولا نقدر على أن نخرج من تلك الغرفة بل نواصل عبثًا الحياة داخل عتمتها، ووسط رائحة عفونتها، دون أن نعثر على باب الحقيقة، أو باب الخلاص، الخلاص، ثم يوم ما يمر أحدهم خلف الغرفة المحكمة الغلق، بعد أن سمع أصواتنًا المستغيثة، يطرق أحد الجدران بعصاه الغليظة، ويصرخ فينا دون أن يستطيع تخليصنا"[3]، وهو فضاء عنيف مغلق يدل على التعذيب والاستبداد والظلم والمنع من التواصل مع العالم الخارجي ويقول أيضًا: "وعند أحد زوايا الغرف كان منظر شاب في مقتبل العمر، يثير الشفقة، شاب يبدو أنه لم يشارك إطلاقًا في العملية، واختار أن ينتظر موته وهو جالس ... فاتحًا أمامه مصحف، محتميًا بالله وقد اخترقه الرصاص من كل جانب وتدلّى على رأسه على أحد كتفيه غارقًا في بحر من الدماء"[4]. وهذا الفضاء المغلق يدل على الحجز بحيث لا يستطيع الإنسان الهروب من هذا الحاجز ففي الخارج هناك موت وفي الداخل موت فسلّم نفسه داخل غرفته يتنظر موته.

---

[1]– نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء، ص33.

[2]– المصدر نفسه ، ص85.

[3]– المصدر نفسه ، ص49.

[4]–المصدر نفسه ص90.

أمّا الكاتبة لم تُرز الأفضية العنيفة فقط إنّما هناك أفضية أليفة وقد تم ذكرها في الرواية وذلك لقول الهادي: "تفاجأت بنوارة تعود إلى الحياة، تعود إلى وعيها، تقفز في حديقة المصح متأبطة دراع الطبيب الحكيم، تنزل نظراتها الزائفة، البعيدة إلى عينيه وتضحك"[1]، ويدل فضاء الحديقة على الراحة النفسية وانشراح الصدر.

كم يدل أيضًا على الأمل والسرور والفرحة بعد المعاناة حيث يخرج المريض يرتاح من الحاجز الذي ركن فيه والأدوية التي أنهكت جسده جراء العنف الذي تعرّض له المريض.

ومنه ففضاء العنف يتمثّل في انعكاس للواقع الذي باتت تحركه القسوة الإنسانية وسرد كل أشكال العنف المتنوعة والتي تمثلت في القتل، التفجير، القمع... إلخ في الرواية العربية الجديدة.

[1]– نعيمة ممري، أعشاب القلب ليست سوداء، ص111.

خاتمة

الخاتمة:

ومن خلال دراستنا لرواية "أعشاب القلب ليست سوداء" توصّلنا إلى رصد أهم ما خلصنا إليه من نتائج والتي تتمثل في:

- ارتبطت رواية الأزمة بالواقع حيث استطاعت أن تعكس صورة الواقع الاجتماعي والسياسي الذي كانت تعيشه الجزائر خلال فترة العشرية السوداء.
- كان أثر الأزمة بارزًا على الرواية الجزائرية التسعينية، حيث منحتها سمة جديدة في مسار الإبداع الجزائري جعلها تتلون بلونها الباعث على الحزن والعنف والأسى لواقع البلاد.
- تناولت الرواية فضية الاغتراب والهجرة.
- الهوية موضوع من المواضيع ذات الحظ الوفير في الدراسة حيث تعيش الذات اختبارًا وذلك حيث تفقد هويتها.
- وصفت كاتبة الرواية "نعيمة معمري" معاناة المهاجرين خارج أوطانهم فأشارت إلى التشتت والبحث عن هوية بديلة ومعاناتهم.
- ذكرت أيضًا الأسباب والعوامل التي تؤدّي إلى الهجرة وذلك من خلال شخصية الهادي الذي هاجر إلى لندن للأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في البلاد بسبب الإرهاب والعنف الذي تعرّضت له.
- استطاعت الكاتبة أن تجسّد صور الواقع المرير الذي عاشته الجزائر في فترة العشرية السوداء وكأنها عايشت تلك الأحداث.

- ارتبطت صورة الموت عمومًا برفض كل طرف لتواجد الآخر، كلًّا من الإرهاب والسلطة أن كل طرف يعتبر تهديد وخطر على الطرف الآخر.
- يبقى الإنسان مغترباً في الوطن الذي هاجر إليه حيث يظل الشعور بالوحدة وفقدان الذات ملازمه هناك.
- نقلت الروائية نعيمة معمري الأحداث والوقائع بشكل مباشر وكأنها عاشت تلك الأحداث.
- إن الإنسان مهما بلغت أحلامه وخيالاته إلى نقاط بعيدة فإنه لا يستطيع التخلص والتملص من ماضيه الذي يظل متجذرا فيه لاصقا به.
- ليس كل مهاجر يغادر وطنه برغبة منه إنما اضطرارا.

قائمة المصادر
و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم (رواية ورش عن نافع).

أولًا: قائمة المصادر:

نعيمة معمري، أعشاب القلب ليست سوداء (د. ط) فيسيرا للنشر، الجزائر 2010.

ثانيًا: المراجع:

1- المراجع العربية:

- أحمد منور، ملامح أدبية ودراسات من الرواية الجزائرية، دار الساحل، د. ط – 2008.
- حسن حنفي، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2012.
- صالح بلعيد، في الهوية الوطنية، دار الأمل للنشر والتوزيع، د. ط. 2007.
- لخليل نوري، مسيهر الحاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة. د. ط. العراق، 2009.
- رضا شريف، الهوية العربية الإسلامية وإشكالية العولمة عند الجابري، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، (د. ط)، 2011.
- عبد الله ابراهيم، السرد والاعتراف والهوية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2011.
- جنات بلخن، السرد التاريخي عند بول ريكو، منشورات الاختلاف. الجزائر العاصمة. ط1، 2016.
- عبد الحميد رضوان، في القوة والسلطة والتفرد (د. ط)، مركز الاسكندرية للكتاب، 2006-2007.
- منى أبو القاسم جمعة عبد الرحمان، الاغتراب الفكري والاجتماعي في الشخصية القومية العربية، جامعة قاريوش ليبيا (بنغازي)، ط1، 2008.

2- المراجع المترجمة:

- أليكس ميكشللي، الهوية، ترجمة علي وطفة. ط1، 1993.
- أمين معلوف، الهويات القاتلة، قراءات في الانتماء والعولمة، ترجمة نبيل محسن، دار الطباة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1999.
- دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية. ترجمة منبر السعيداني، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت لبنان، ط1.
- بنجامين سنورا، تاريخ الجزائر بعد الاستقلال، 1988/1962، ترجمة صباح ممدوح كعدان، دمشق، البيئة العامة السورية للكتاب. 2012.

3- القواميس والمعاجم:

- ابن منظور، لسان العرب، دار الصلح، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
- رجب عبد الجواد ابراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2002.
- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، د. ط. 9 سبتمبر 2008.
- فتحي ابراهيم. معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، الجمهورية التونسية، ع2، د. ط. 1988.

4- المجلّات والدوريات والملتقيات:

- أم الخير سحنون للهجرة غير الشرعية لدى الشباب الجزائري، الأسباب والعوامل، جامعة بونعامة جيلالي، خميس مليانة.
- أحمد هادي طالب، الأسس النظرية العامة لإدارة الأزمات، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بابل.
- داود محمد، الأدباء الشباب والعنف في الوقت الراهن، مركز الأبحاث الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ع10، جانفي- أفريل.
- زغو محمد، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2002.
- علي عثماني، هجيرة صحراوي، الهجرة غير الشرعية، المدلول الأسباب وآثارها في الجزائر، مجلة الفكر القانون والسياسي، م6، ع1، 2022.

- فاطمة قاسمي، أثر العشرية السوداء في الرواية الجزائرية، مخبر الدراسات الإفريقية للعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، م13، ع16، 31 ديسمبر 2018.
- نور الهدى عبادة، الهوية الثقافية الجزائرية والعولمة الإعلامية وسبل الوقاية، مجلة الاتصال والصحافة، م6، ع4، 2019.
- ميمونة مناصرية، الهوية بين الأنا والآخر، قراءة في التراث المعرفي، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي، م6، ع1، 2019.
- منصورية بن عبد الله ثالث، تجليات الفضاء وأبعاده في رواية مزاج مراهقة لفضيلة الفاروق، مجلة إشكالات في اللغو الأدب، مجلد 10، عدد 2، السنة 2021.

5- الأطروحات والرسائل الجامعية:

- حمزة بوزيدي، التمثيل السردي للمهاجر في الرواية الجزائرية الجديدة، دراسة نماذج من منظور سردي ثقافي، رسالة دكتوراه، قسم الأدب واللغات، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، 2020-2021.
- رفيق بن حصير، الأمازيغية والأمن الهوياتي في شمال افريقيا، دراسة حالة الجزائر، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر 2012-2013.
- سليمة خليل، الحداثة السردية في الرواية الجزائرية، نقذ المرجعيات في رواية الأزمة، رسالة دكتوراه، قسم الآداب واللغات، جامعة بسكرة، 2016-2017.
- كريمة خطيب، أدب الأزمة في الرواية الجزائرية المعاصرة، وطن من زجاج، مذكرة ماستر جامعة أحمد دراية، أدرار، 2019-2020.
- أزمة الهوية في السياسة التعليمية الجزائرية، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2005/2004.

6- المواقع الالكترونية:

- نمري فضيلة، طاوطاو رزيقة، جمالة الغنونة، جمالة العنونة في رواية الأزمة الجزائرية، جامعة أم البواقي، 2015، الموقع الالكتروني https://hdl.handle.net.
- ليلى بن عائشة. أدب المحنة. الأدب الاستعجالي، قراءة في المصطلح، الموقع الالكتروني: https://cte.unic.setif.dz.
- نسمة عبّاس الربيعي، الأزمة وأنواعها وخصائصها، الموقف الالكتروني: https://uonstonririgoh.edu.iq.
- محمود درويش، عن المنفى، 28 أكتوبر 2015، الموقع الالكتروني https://aelinkedin.com.
- مجلة فكر الثقافية، أدب الهجرة والمنفى، شبكة الانترنت، موقع: https://www.fitatmay.com .
- معجم المعاني الجامع، معجم عربي – عربي شبكة الانترنت https://www.almaany.com.
- مريم نجمة، الاغتراب عن الوطن وتأثيراته الروحية، والفكرية والاجتماعية على الفرد، 2006/01/14. https://m-aleuar.org.
- إشكالية اندماج المهاجرين، مقال بدون اسم كاتب، نُشر بتاريخ 16 أفريل 2020، www.bibliojust.club.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

كلمة شكر وتقدير .....

إهداء .....

مقدمة: ..... أ–ب – ج

الفصل ألأول قراءة في المصطلح (الأزمة – الهجرة – الهوية): 5

أولا: رواية ألزمة الجزائرية 5

1– مفهوم الأزمة (لغة و إصطلاحا) 5

2– مفهوم رواية الأزمة 6

3– مفهوم أدب الأزمة 7

أدب المحنة 7

– أدب الإستعجال 7

4- رواية التسعينيات 8

ثانيا: أدب الهجرة و المهاجرين 9

1– مفهوم الهجرة 10

2– مفهوم الاغتراب 10

3– مفهوم المنفى 10

4– مفهوم أدب الهجرة : 11

5- الفرق بين أدب الهجرة و المنفى و الاغتراب: 11

6– قضايا أدب الهجرة: 12

ثالثا: الهوية 15

أ- لغة: 15

ب- إصطلاحا 15

2– أبعاد الهوية 16

أ– الهوية الدينية 16

ب- الهوية الإجتماعية : 17

ج- الهوية الثقافية: 18

د- الهوية القومية: 19

3- الهوية السردية..... 19
الفصل الثاني : تجليات إشكالية الهوية داخل الرواية:..... 23
- ملخص الرواية..... 24
أولا: الهوية السياسية الجماعية 25
1- أحداث أكتوبر 1988 25
أ- التهميش 27
ب- الطبقية 28
ج- العنف أنواعه و أثاره 29
- العنف الإجتماعي 29
- العنف السياسي 30
- العنف ضد المثقفين..... 31
2- الصراع الإديولوجي 32
ثانيا: أزمة الهوية الفردية 35
1- الاغتراب داخل المجتمع:..... 35
2- الخروج الإضطراري:..... 36
3- البحث عن هوية بديلة: 38
4- فقدان الذات..... 40
5- العثور على الذات:..... 42
ثالثا: الهوية و الآخر 44
1- مفهوم الآخر 44
أ- لغة 44
ب- اصطلاحا :..... 45
2- الآخر المتسامح:..... 46
3- الآخر العنصري: 48
4- الآخر العنيف: 50
5- الآخر العربي:..... 51
6- الآخر الجزائري..... 54

7- الآخر الفلسطيني: 55
رابعا: هوية الفضاء: 59
1- مفهوم الفضاء:..... 59
أ- الفضاء الداخلي: 60
ب- الفضاء الخارجي 63
ج- فضاء العنف: 66
الخاتمة : 70
قائمة المصادر و المراجع : 73
فهرس المحتويات .....
الملخص : .....

الملخـــص

ملخص:

تناول البحث قضية الهوية وارتباطها بتحليل الحوادث الواقعية التي هي على اتّصال بالهوية الجماعية من خلال ملامسة الواقع في جزئياته الانتمائية تحت عنوان إشكالية الهوية في رواية أعشاب القلب ليست سوداء لنعيمة معمري.

انبثقت عنه الإشكالية التالية: كيف كان تعامل الروائي الجزائري المعاصر مع إشكالية الهوية؟

وللإجابة على هذه الإشكالية والوصول إلى إجابة واضحة قمنا بالدراسة التحليلية للرواية بالاعتماد على منهج سيميائي.

وقد قمنا بوضع خطّة تشمل مجموع المواضيع التي تمكننا من الإجابة الدقيقة على الإشكالية. فقسّمنا البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة، يندرج تحت الفصل الأول ثلاث مباحث، تناولنا في البحث الأول رواية الأزمة في مفهومها اللغوي والاصطلاحي وخصائصها، أمّا المبحث الثاني فيتمثّل في أدب الهجرة والمهاجرين مفهومه اللغوي والاصطلاحي وخصائص وأهم قضايا الهجرة وختمنا هذا الفصل بمفهوم الهوية لغة واصطلاحًا وأبعادها والهوية السردية، أمّا الفصل الثاني فاعتمدنا على مباحث تتمثّل في تحليل الرواية.

وخلص إلى النتائج التالية:

- حضور العنف والموت في الرواية الجزائرية كان نتيجة المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.
- مرارة العيش لدى الفئات البسيطة في المجتمع ممّا أدّى إلى الهجرة (الحرقة).
- الاغتراب وفقدان الذات داخل الوطن الأم.
- الهروب والبحث عن هوية بديلة لاسترجاع الذات.

الكلمات المفتاحية: الأزمة – الهجرة – الهوية – العنف

Research Summary :

The research dealt with the issue of identity and its connection to the analysis of realistic incidents that are in contact with the collective identity by touching reality in its affiliative parts under the title of the problem of identity in the novel “The Herbs of the Heart Are Not Black” by Naima Maamari.

The following problem emerged from him: How did the contemporary Algerian novelist deal with the problem of identity?

In order to answer this problem and reach a clear answer, we made an analytical study of the novel based on a semiotic approach.

We have developed a plan that includes all the topics that enable us to accurately answer the problem. We divided the research into an introduction, two chapters, and a conclusion. Three chapters fall under the first chapter. In the first research, we dealt with the crisis novel in its linguistic and terminological concept and characteristics, while the second topic is represented in the literature of immigration and immigrants, its linguistic and terminological concept, characteristics and the most important issues of immigration, and we concluded this chapter with the concept of identity linguistically and idiomatically, its dimensions and identity. The narrative, as for the second chapter, we relied on investigations represented in the analysis of the novel.

He reached the following results:

- The presence of violence and death in the Algerian novel was the result of economic, political and social problems.
- The bitterness of living among the simple groups in society, which led to migration (Harqa).
- Alienation and self-loss within the motherland.
- Escape and search for an alternative identity to recover oneself.

Keywords: crisis - migration - identity – violence.